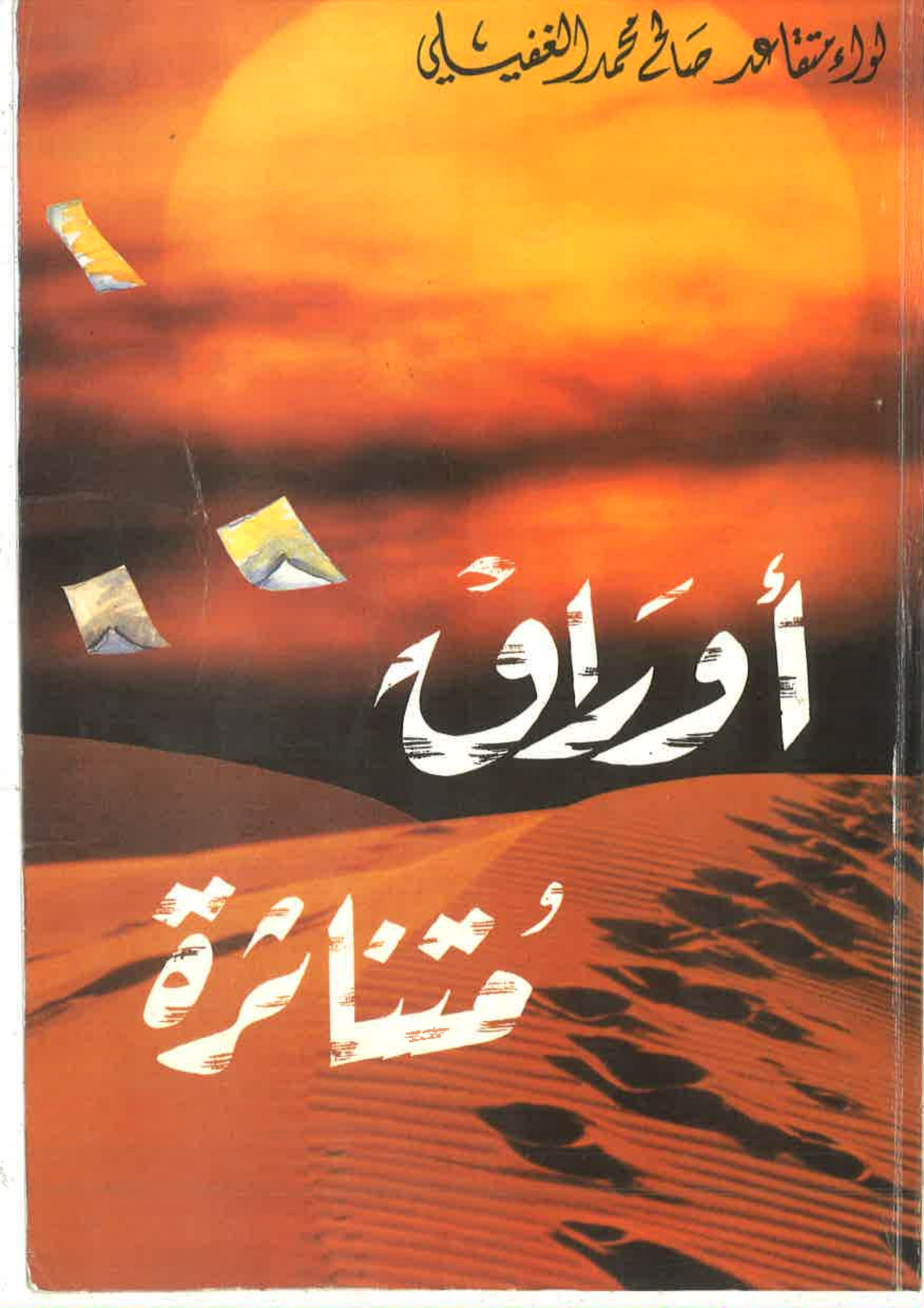

لواء متقاعد صالح محمد الغفيلي
أوراق
متناثرة

لواء متقاعد / صالح محمد الغفيلي

أوراق..

متناثرة !!

ح صالح بن محمد الغفيلي ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغفيلي، صالح بن محمد

أوراق متناثرة

٢٨٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١ - ٥٢ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠

١- السعودية - المقالات العربية أ- العنوان

ديوي ٠٨١.٩٥٣١ ١٦/٠٨٧٧

رقم الإيداع : ١٦/٠٨٧٧

ردمك : ١ - ٥٢ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أولئك الأصدقاء والزملاء.. الجنود المجهولين الذين اسهموا معي في اخراج هذا الكتاب بالتصويب والتصحيح والحذف وبالإضافة أيضاً، وأخص بالذكر المدير الفني لمطابع الفرزدق الأستاذ مصطفى الجمل الذي بذل جهداً مشكوراً في اخراج هذا الكتاب.

أهدي إليهم وإلى القراء جميعاً هذا العمل الأدبي المتواضع.. عسى أن يجدوا فيه بعض ما يعبر عن خواطرهم، ويلامس أحاسيسهم ويثير تساؤلاتهم والجدل الهادف فيما بينهم بما يرفع من شأنه ويوسع في مكانه.

مع خالص تقديري وعميق امتناني لهم بالشكر والعرفان.

المؤلف

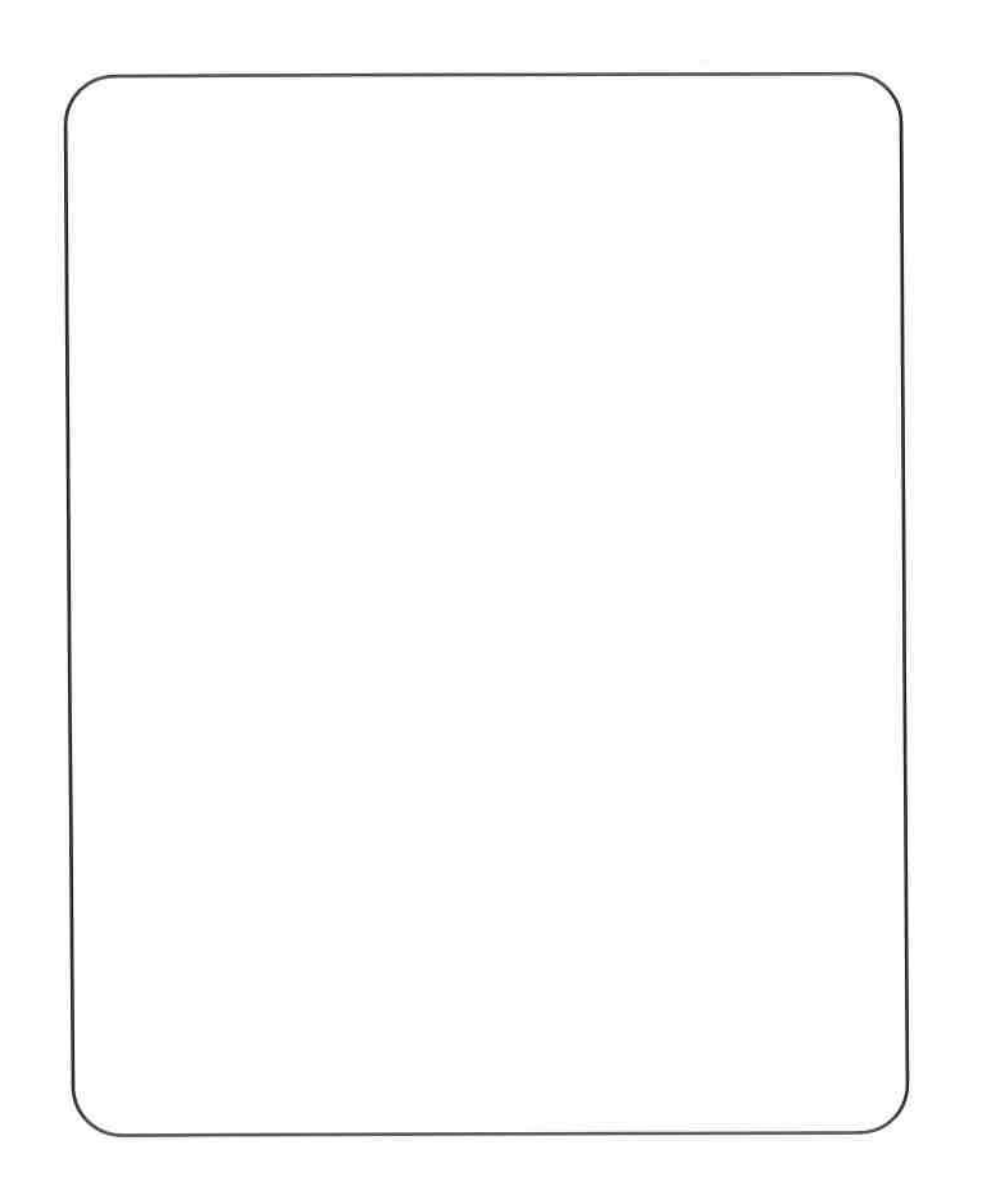


مقدمة

إذا كنت عزيزي القارئ من متابعي مجلة الدفاع التي تصدرها إدارة الشئون العامة بوزارة الدفاع والطيران بالمملكة العربية السعودية، فلابد أنك قد اطلعت فيها على بعض مواضيع هذا الكتاب، لذلك وايماناً مني بأن ما يكتب في الصحف والمجلات غير المتخصصة من مواضيع أدبية وبحوث ومقالات اجتماعية غالباً ما يكون مآلها النسيان والاهمال مالم تُجمع بين دفتي كتاب يحفظها ويسهل تداولها والاطلاع عليها من قبل المهتمين كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وهذا ما دفعني لأن أضع بين يديك هذا الكتاب الذي ضم أفكاراً تواترت دون ترتيب أو توقيت، لكنها في النهاية اجتمعت تحت مظلة الرغبة في القاء الضوء على قضايا وممارسات وربما حقائق هي في الواقع جزء من حياتنا اليومية.

وإني أرجو أن يسهم هذا الكتاب في إثراء الحوار ومحاولة البحث عن حلول لتلك القضايا المطروحة.



هل أنت قارئ

هل أنت قارئ؟

سؤال

جال في خاطري وتبادر إلى ذهني فطرحته في حينه على أحد الزملاء، ولما كنت أعرفه معرفة جيدة فيما يتعلق بالقراءة فلم انتظر سماع اجابته، فعلى ضوء معرفتي له واحتكاكي به وحديثي المتكرر معه، وإطلاعي على بعض كتاباته في مجال العمل.. يمكنني اعتماداً على ذلك أن أقول إنه ليس بقارئ جيد.

صحيح أنه يقرأ كثيراً.. لكنها قراءة ينقصها التركيز وحسن الاختيار، بدليل أن شيئاً مما يقرأ لا يرسخ منه في عقله إلا القليل القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وهذا ما يؤكده منطقه وكتاباته.

وقد يكون مثقفاً لكنها ثقافة محدودة يستقيها من مطالعاته السطحية في بعض الصحف والمجلات حيث يولي اهتماماً كبيراً بأخبار أهل الفن وأحوالهم، لكني لم أره يقرأ في كتاب ذي قيمة أدبية أو تاريخية أو غير ذلك من العلوم الإنسانية الأخرى، لذلك تصبح حصيلته في النهاية من قراءاته

السطحية تلك، غثاء كغثاء السيل يزول من أدنى هبوب للريح لا يبقى منه على سطح الماء شيء، فهي ليست كالقراءة الهادفة الواعية المتأنية المتدبرة التي تغذي العقل، وتغني الفكر، وتمده بمختلف المعارف والعلوم التي متى استوعبها العقل تولد عنها فكر نير، وأدب رفيع نافع خصوصاً اذا ما أحسن الاختيار للقراءة من بين أمهات الكتب التي تنوء بحملها رفوف المكتبات العامة والخاصة على حد سواء.

هذه الكتب التي أصبحت للأسف الشديد في أيامنا هذه ترص في المكتبات المنزلية رمزاً للوجاهة وزينة للمجالس.

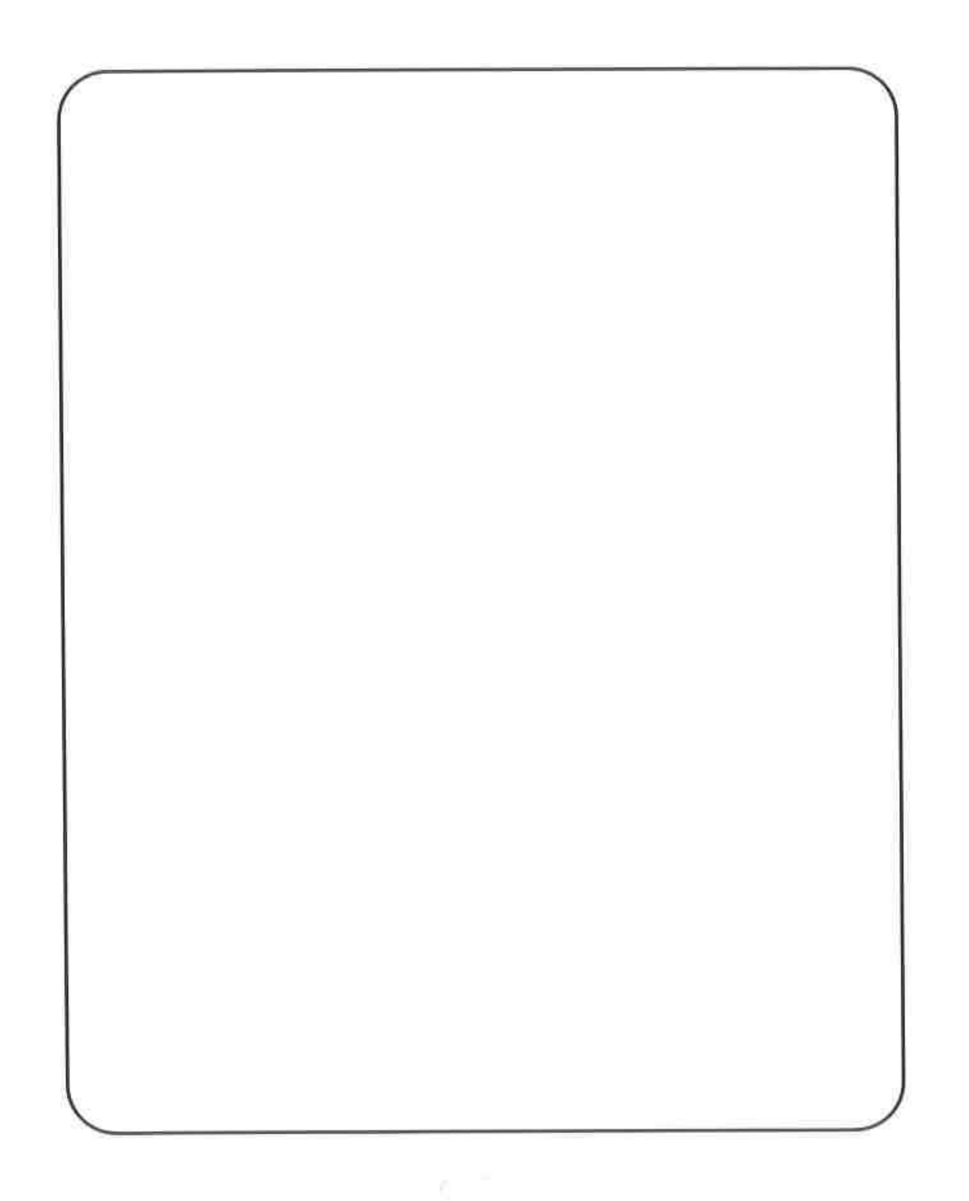
لذلك تجد الغبار يعلوها والحشرات تعبث بها، لندرة الاقبال عليها، والانصراف عنها، إلى غيرها مما لا ينفع ولا يفيد، ولا يورث إلا ضياعاً للوقت والمال معاً.

فهلا أدركت هذا عزيزي القارىء.. اذاً عليك أن تستثمر جهدك ومالك ووقتك في الاطلاع المفيد والقراءة النافعة التي إن أحببتها زادت في علمك ووسعت في ثقافتك ومدارك عقلك وفكرك، وجنيت ثمرة أوقات فراغك التي قد تضيع سدى فيما لا نفع فيه ولا فائدة ترجى من ورائه. انك ان فعلت هذا ستزيد

من قدرك وترفع من شأنك في محيطك وبين معارفك واقرانك، وستقطف ثمارها أفكاراً واعية، وكلمات رائعة، وحججاً دامغة واساليب شيقة، وهذا هو شأن القارىء الواعي ان كتب أجاد، وان حدّث أمتع وان جادل أقنع، وما ذاك إلا لأنه قد استوعب ما قرأ فهو يثمر فكراً ويشيع ثقافة أشبه ما يكون بالنحلة النشطة التي تنتقل من خميلة إلى أخرى تمتص رحيق الزهور لتصنع منه أقراص عسل طيب النكهة والمذاق فيه غذاء وشفاء للناس.

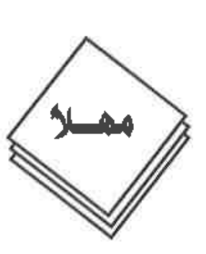
فهل تكون أنت هذا القارىء الذي ينتقل بين حدائق الحكمة والآداب من كتاب إلى كتاب.. يتشرب افكاره ويهضم اخباره.. آمل ذلك وأرجو لك التوفيق وحسن الاختيار.





هل أنت اجتماعي

هل أنت اجتماعي؟



عزيزي القارىء.. لا أقصد بسؤالي هذا ان كنت كثير الاصدقاء واسع الانتشار بين الناس، فهذه علاقات عامة قد تفرضها ظروف حيوية مؤقتة بحكم وظيفة أو جاه.

ومثل هذه العلاقات لا ثوابت لها ولا قواعد دائمة تقوم عليها.. فهي أشبه ما تكون بأمواج البحر تتأثر بقوة اندفاعها ومدى ارتفاعها بعوامل المد والجزر.. كالعواطف الانسانية تمامًا.. تتأرجح بين القوة والضعف تبعًا للقرب والبعد واستمرار العطاء وتبادل المصالح المشتركة بين أطرافها، وهذا أمر طبيعي وسنة من سنن الحياة لا أحد ينكره ولا غبار عليه.. لكن ما أعنيه هنا وأهدف إليه: أن تقوم علاقتك بالآخرين على قواعد أكثر رسوخًا.. وثوابت أشد عمقاً، تربطك بهم المحبة والمودة، وتشدهم إليك بوشائج حبك لهم وعطفك عليهم، والسعي لخيرهم والاصلاح فيما بينهم واسداء النصح لهم، وارشادهم لما ينفعهم والصدق معهم ومصادقتهم.

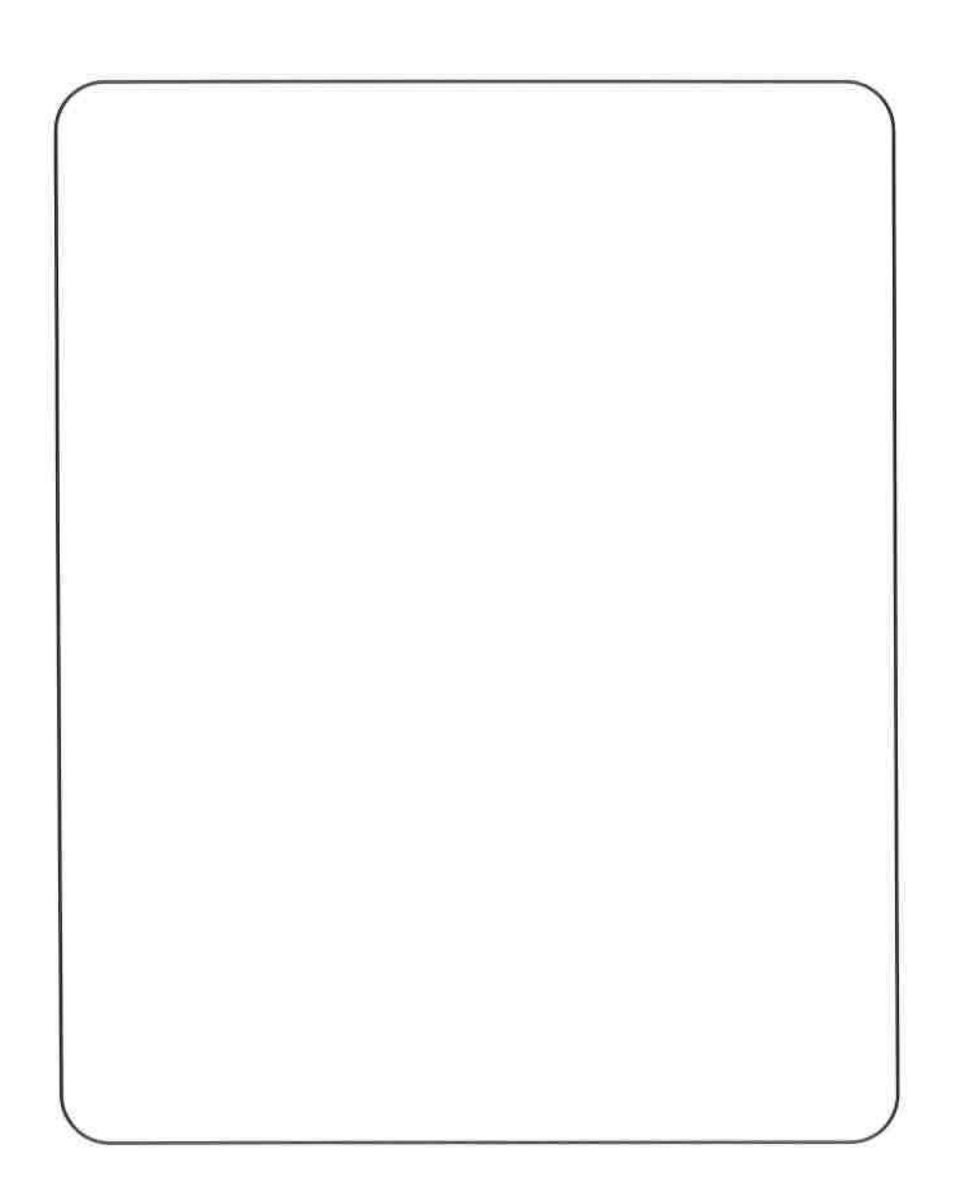
وأن يشعروا بأنك قريب منهم حتى وان كنت بعيداً عنهم وفي غير مكانهم، والتسامح معهم إلا فيما يغضب الله أو يلحق الضرر بهم.

أن تكون معهم طيب المعشر لين الجانب، ندي اليد واللسان.. رفيقاً بهم.. عطوفاً عليهم ليس لك مطمع من وراء ذلك ولا غاية.. إلا الحصول على ثقتهم واكتساب مودتهم واحترامهم، وتقديرهم لمواقفك معهم، وأن يدركوا ما تفعله من أجلهم، ليس بتأثير مركز أو جاه يميزك عنهم.. فقد تكون أقلهم مالاً وأدناهم جاهاً.. وانما تفعل ذلك معهم بدوافعك الذاتية الخيرة وعطائك النبيل غير المسبوق بمنة أو شرط لاترجو منهم جزاء ولا شكورا.

وماذاك إلا لمنحك شعوراً بالرضا، واحساساً بالسعادة وراحة البال.. وهو ما يعقب عادة حسن العمل ومشاركة الآخرين همومهم.

وهذا لعمري لهو المبتغى، وغاية السعادة في الحياة والمنتهى





شيء عن إجازة الصيف

شيء عن اجازة الصيف

ما أن

يحلّ فصل الصيف وتغلق المدارس أبوابها حتى يبدأ المقتدرون بحزم أمتعتهم وشدّ رحالهم استعداداً للانطلاق صوب الوجهة والمكان الذي اختير لقضاء الاجازة بين ربوعه، تدفعهم إلى ذلك الرغبة في الابتعاد عن هموم العمل والتزاماته وهروباً مما يحمله الصيف معه عادة من مزعجات كالحرّ والغبار ونحوهما وكسراً للرّتابه اليومية بالنسبه لرية البيت والتمتع ولو مؤقتاً بشعور التحرر منها وذلك بالانطلاق في الرحاب الواسعة والعالم الفسيح. كما توحي به الدعايات وتدعو إليه الاعلانات.

وهناك صنفان من أولئك الذين يمارسون هذا النشاط السياحي في مواسمه، صنف اعتاد على هذا، وخبرته فيه طويلة وتجربته غنية، لذلك فهو يعرف بطبيعة الحال ما يفعله وماهو مقدم عليه، وصنف آخر وهو الغالب الأعم حديث عهد بهذا لا يملك من مقومات انطلاقته تلك سوى معلومات غير

دقيقة مغلفة بأصباغ الدعايه وألوانها الجذابة ومشوقاتها المغرية. لذلك تكون المفاجأة قاسية عليه عندما يهبط إلى الميدان ويجد نفسه يواجه الحقيقة المغايرة لتلك التي كان يتصورها.

وقد قادتني المصادفة لألتقي بواحد من هؤلاء وهو صديق وزميل قديم التقيت به في اجازة الصيف الماضي في أحد الأسواق التجارية الكبيرة في العاصمة الأمريكية حيث لمحته وهو يركض بصعوبة بالغة محاولاً الامساك بطفل صغير أتضح فيما بعد أنه أحد أبنائه، كان يلحق كرته التي قذف بها على غير هدى بين أقدام الكتل البشرية التي كان يغص بها السوق على كبره واتساعه،وتعدد مسالكه ومنعطفاته، ومع أنه كان في حالة ركض واستعجال فقد لمحني أيضاً، وعندما تأكد من شخصي وتحقق من ملامحي – وكان قد أمسك لحظتها بالطفل – توقف عندي وهو يلهث تعباً ممسكاً الطفل بيد ومصافحاً اياي باليد الأخرى.

وبعد تبادل التحايا والاشواق والحديث الموجز الذي يقال في مثل هذه المواقف قال وهو يلتفت صوب أحد المتاجر القريبة منا: ان زوجته وابنتيه هناك .. ولمعرفة اخباره مفصلة أو على

الأصح تبادل المعلومات العامة والخاصة معًا، وبعد أن اشترى لابنه لعبة آلية لينشغل بها عنا جلسنا على أحد المقاعد الخشبية المخصصة لاستراحة رواد السوق الذين انهكهم التجوال، أو الذين ينتظرون آخرين مازالوا يتسوقون كما هو حالنا.

قال وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى تعبر عن ما يختلج في داخله بأنه جاء إلى هذا الجزء من العالم القصي من الكرة الأرضية ليمضي اجازته في الولايات المتحدة الأمريكية متنقلاً بين ولاياتها ومناطق السياحة فيها، متأثرًا كغيره بما كان يسمع عنها ويرى في الأفلام.. قاطعًا المسافات الطويلة دافعًا التكاليف الباهظة.. متحملاً المتاعب الشاقة والتبعات المضنية.. ليرى البلد الذي بات بحكم قوته ونفوذه يتسيد العالم.. ليعود من اجازته وجعبته مملوءة بما هو جدير بالتحدث عنه للآخرين.

لكنه قال ونغمة الأسف تعبّر عنها نبرات صوته المرهق: يبدو أنني ياصديقي سأعود إلى الوطن وأنا خالي الوفاض، ليس في جعبتي من المعلومات عن هذا البلد المترامي الأطراف الا ما يتعلق منها بالأسواق التجارية، وما تحتويه من شتى

أنـواع المصـنوعـات، وأخـرى عن مـلاعـب الأطفـال وأماكـن التسلـية الـتي يـطيب لـلأطفـال البـقاء فيـها مـا أُمكـنهـم ذلك، ولأرضي هؤلاء وهؤلاء.. تجـدني في الصباح هنـا وفي المساء هناك. والاجازة توشك أن تنقضي ونحن على هذا المنوال.

فهل تـراني مادام هذا هـو حالي قد عـرفت شيئـاً جديداً؟ وأنني قد استمـتعت باجازتي كما كنت أتمنـى، بالتأكيد لا.. إلا اذا اعتبرنا أن متعة الأبناء هي متعتنا وهذا ما يراه الكثيرون.

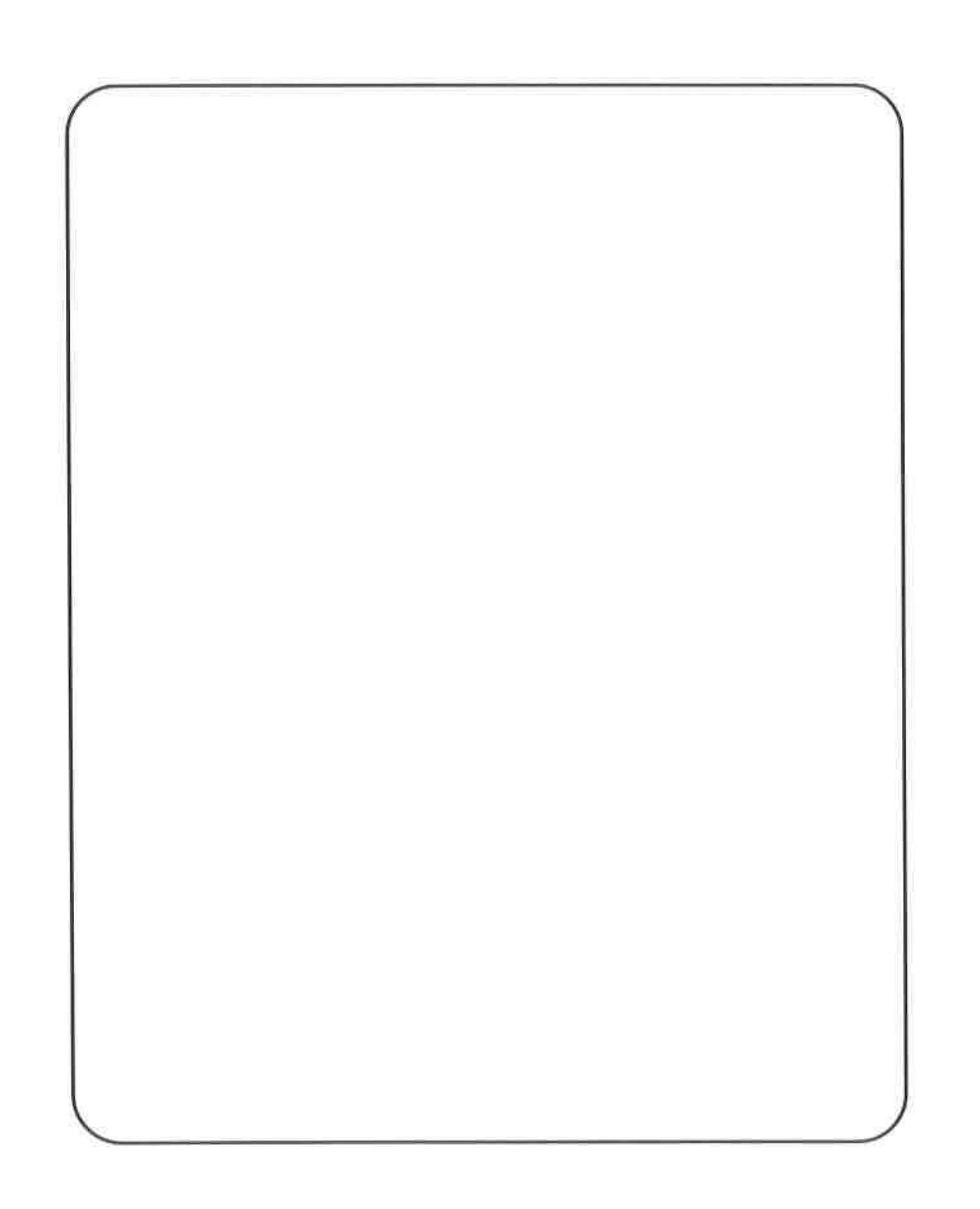
وعندما هممت باعلان موافقتي على ذلك التفت إليّ وهو يرمقني بنـظرات ذات معنى قائلاً: لكنك لم تحدثني عن نفسك فقد تركـتني أثرثر وأنت كعادتـك القديمة تلوذ بالـصمت، تحب أن تسـمع أكثر ممـا تتكـلم ، صحيـح أن الصمـت حكمة ولـكن ليس في كل المـواقف والأوقات. قـلت هـا أنت تضـيف حكـمة أخرى لا تقل أهمية عنها.

ولم أزد على ذلـك شيئـاً ولأنه كان يـتوقع مني مشـاركته همـومه بان أشـكو لـه حالي، كـما شكـا لي ولأن الـشكوى لـله وحده.. فلـم أنبس ببنت شـفة بل أطرقت بـرأسي إلى الأرض، وتمتمت بكلمات غير واضحة وانصرفت من أمامه مودعاً اياه

لأنضم إلى أفراد اسرتي الذي أقبلوا نحوي مثقلين بما يحملون من مشتريات هي بالتأكيد متوفرة في أسواقنا ولله الحمد، وربما بأسعار أقل ناهيك عن مشقة حملها، ولكنها نتيجة طبيعية للعلاقة الحميمة بين المرأة والتسوق.

وبعد، أوليس فيما رأى صاحبي ما يغني عن الكلام؟ لاشك في ذلك. وأني لعلى يقين من أنه قد تلقى الرسالة التي سوف تخفف عنه بعض معاناته تلك وتؤكد له شعوره الخاطيء بالوحدة والانفراد، وستجدد لديه روح الزمالة القديمة وتؤكد له أننا كلنا ذلك الرجل وان اختلف الزمان والمكان.





هل الذكاء نعمـة

هل الذكاء نعمة؟



من قبيل الترف الفكري أو الفراغ الزمني طرح هذا السؤال، أو لأنه أكثر أهمية من غيره في وقت تضطرب فيه الحياة باحداث جسام، لكنه وأسئلة كثيرة أخرى مماثلة مازالت تنتظر الاجابة.

فكما هو معلوم فان كثيراً من الانجازات العلمية التي تحققت حتى اليوم وقدمت لنا الشيء الكثير في مختلف شئون الحياة ومجالاتها لم تكن إلا اجابات على اسئلة كانت تحمل هموم الانسان واحتياجاته وتعبر عن آماله وأمانيه في الحياة وتترجم تطلعاته نحو مستقبل أفضل.

وما السؤال المطروح أعلاه إلا واحدٌ منها؛ وأنا بطرحي إياه ومحاولة إلقاء الضوء عليه واثارته كسؤال يبحث عن اجابة لا يعني تحت اي تصور اني فيما سأتطرق إليه سآتي بما لم يأت به الأوائل، وانما هي مجرد محاولة اجتهادية تقوم على استقراء سريع لبعض مظاهر هذه القدرة الذهنية العجيبة

وافرازاتـها البارزة لـلعيـان الواضحة المـعالم، لـلمتـتبع والمهـتم برصـد النشـاط الانسانـي في مجـتمـع اليوم سـواء كانت تـلك الافـرازات سلـبيـة أم ايـجابيـة. ولكـن قبل الخـوض في هـذه المحاولة يحسن بنا أن نورد هنا تعريـفاً علميا مختصراً للذكاء، فقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة:

(الذكاء هو القدرة العامة على استخدام الخبرات السابقة لمواجهة المواقف الجديدة بنجاح، أو حل المشكلات الجديدة بابتكار الوسائل الملائمة.. أو القدرة على تكوين أنماط سلوكية جديدة لمواجهة موقف جديد، وذلك بتعديل الأنماط السلوكية القديمة أو اعادة بنائها).

فالـذكاء اذن كـما جـاء في الـتعـريف الـسابـق هو الـقدرة الذهـنية العـامة التي تـقود إلى الـنجاح والفـلاح، وتساعد عـلى حسن استخدام الخبرات السابقة المكتسبة في مواجهة مختلف المواقف الطارئة التي تنشأ عادة عن تفاعل الانسان مع حركة الحياة اليوميـة بإسلوب ذكي مقبول يجنبـه الوقوع في الأخطاء أو تكرارها.

وعليه يصبـح الذكاء – هذه الطاقة الفكريـة – هبة إلهية

يودعها الخالق – جل شأنه – لحكمة يريدها في من يشاء من عباده، لكنها غالباً ما تكون أشبه بسلاح ذي حدين، فهي بقدر ما تنفع وتفيد، تلحق الضرر وتؤذي اذا لم يسيطر العقل عليها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر قد ترى ذكيا مجتهداً يعمل وسط فئة أقل منه ذكاء.. ومعدل انتاجه أعلى.. فيبرز بينهم ويشتهر وتتجه الأنظار إليه وتزداد أهميته وترتفع قيمته عند رؤسائه، ويكون موضع تقديرهم واحترامهم.

نعم.. هذا ما يحدث غالبا.. ولكن لايلبث الأمر أن يتغير، والحال أن يتبدل بعد أن يثير اجتهاده حفيظة زملائه في العمل.. وربما قلق وتوجس رؤسائه أيضا في مرحلة لاحقة.. كيف لا؟ وقد صرف الأنظار عنهم أو كاد بانتزاعه الاعجاب من الجميع لتفوقه في العمل وفرط ذكائه وحسن إدارته وتدبيره.. أوليس كل صاحب نعمة محسودا؟

ولأن الذكاء نعمة كبرى، فقد تتبدل المواقف وتتغير الأحوال، وقيل:

إذا لم يكن عونٌ من الله لِلفتى
فأولُ ما يَجْني عليه اجتهادُه

ولأن الذكاء افراز عقلي يقظ واحساس متوقد فقد يوقع صاحبه في مهاوي المحظور إذا هو تجاوز الحدود المسموح بها في محيط قد لا يقبل الزيادة في العطاء إلا اذا كان متوازنا ومتناغماً مع آلية الحركة الذي هو جزء منها. فالذكي الذي لا يدرك هذا ويعيه جيداً ويأخذ بالتعامل مع الآخرين على اساس الشعور بالتميز والتفوق والنظر إليهم من علٍ.. فانه قد يقع في المحظور وحبائل الغرور، ويسير في الاتجاه الخاطئ، وبهذا يكون اجتهاده كالساحر الذي انقلب عليه سحره.

فالغرور عندما يصيب انساناً نتيجة لشعوره بالتميز وعلو الشأن ينحرف بصاحبه عن جادة الصواب ويظل يمارس نشاطاً ينظر إليه الآخرون على أنه عمل أُناني، ونشاط تجاوز الحدود المسموح بها، فتراهم لكي يحدوا من اندفاعه وخطورته حسب منظورهم، وكردة فعل دافعها الغيرة والحسد يضعون مختلف المعوقات والعراقيل في طريقه... وما ان يشعر هو بهذا التحول غير المتوقع تجاهه حتى يقع فريسة

احباط يربك كل حساباته السابقة وأحلامه الطموحة وآماله الواسعة.. ولمواجهة هذا الموقف يثور على من حوله متهماً اياهم بالغباء والجهالة، ولأن الكثرة تغلب الشجاعة – كما يقال وتؤكده الحقائق – يصبح في النهاية متهماً بكل ذلك... فماذا عساه فاعل سوى التراجع الذي قد يكون في هذه الحالة أهون وأسلم؛ بحيث يعطي نفسه فسحة من التأمل والتفكير ومراجعة الحسابات على ضوء ما مر به من تجربة.

وعلى النقيض من ذلك هناك نوع آخر من الموظفين وهو محدود الذكاء بليد الاحساس.. فمثل هذا لا يهديه عقله الخامل وذهنه المتبلد إلى الاجتهاد والابداع؛ فتراه لقلة حظه من الفطنة، ولضآلة نصيبه من الذكاء.. لا يحدث أمرًا ذا بال، ولا يحرك ساكناً، ولا يثير غبارًا حتى وان ركض في الريغا!(١).

والأمر قد لا يكون كما يتراءى لنا، وانما هو اسلوب حياة أوجد لديه قناعة بأن السلبية في مواجهة كثير من المواقف هي الأكثر حكمة والأوفر أمنا وسلامة.

ولو قلبنا النظر فيما حولنا لوجدنا أن هناك نماذج أخرى

(١) هي: الناعم من الطين أو التراب.

من طبقة الموظفين يعيش أصحابها بيننا قد تعثرت أقدامهم ومنذ أول الطريق ولم يحققوا شيئا من النجاح مع إنهم قد اتصفوا بالذكاء بمعيار الشهادات، وسجل الدرجات في مراحل الدراسة المختلفة، ومع ذلك أخفقوا في ميادين العمل لأنهم لم يحسنوا توظيف ما أوتوا من علم وذكاء لتلمس الطريق السليم المؤدي إلى النجاح والمتمثل بالاعتدال وحسن التصرف، ولأنهم لم يدركوا هذه الحقيقة أو أدركوها متأخرين، فقد رجعوا من منتصف الطريق أو توقفوا في بعض منعطفاته بعد أن اصطدموا بالواقع المحيط بهم.. المغاير لطبيعتهم، المتعارض مع اسلوب تفكيرهم وفلسفتهم في الحياة ونظرتهم إليها فكان أن سلكوا طريقاً آخر.



من صور الفطنة والنباهة

ومن صور الذكاء والفطنة والنباهة أو ما يعبر عنه بالبديهة وهو سرعة الاستجابة في الرد والإجابة.. ما يزخر به تاريخنا العربي من قصص ومواقف. من ذلك ما ذكر عن حدة ذكاء القاضي إياس بن معاوية في القضاء، فقد جاءه يوما رجل يشكو أنه وضع عند أحد معارفه كيساً مختوماً فيه كمية من الدنانير ثم غاب عنه خمس عشر سنة، فلجأ الذي أودع لديه الكيس إلى حيلة بارعة؛ اذ فتق الكيس من اسفله وأخذ ما فيه من دنانير ووضع مكانها كمية من الدراهم بعد أن أبقى الختم على حاله ولم يمسه.. وعندما عاد الرجل بعد غيبته الطويلة لاسترداد وديعته، استلم الكيس المختوم، ولكنه فوجيء عندما فتحه أن دنانيره قد مسخت إلى دراهم.

وعندما سمع اياس هذه الشكوى، أطرق هنيئة يستلهم ذكاءه اللماح وذهنه الوقاد حلا لهذه المشكلة التي يفتقر فيها المدعي إلى البينة والدليل... وسرعان ما التفت إلى الشاكي وسأله: منذ كم أودعت خصمك هذا كيس دنانيرك؟

فأجاب الشاكي: كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً.

وأيد الخصم قائلا: أجل أيها القاضي منذ خمسة عشر عاماً. وهنا راح القاضي اياس يقلب الدراهم؛ فاذا الذي توقعه قد صح.. فقد وجد الدليل الذي يثبت الدعوى... لقد عثر بين الدراهم على فئات منها ما ضرب قبل عشر سنين، ومنها ما ضرب قبل خمس سنين فقط، فقال للمدعى عليه بهدوء: أودعك دنانيره منذ خمسة عشر عاماً؟ فقال: نعم. عندئذ صاح به اياس: ياعدو الله.. هذه دراهم مضروبة منذ خمس سنوات فقط... فاعترف بالحقيقة... لقد وقع في الفخ ولم يعد أمامه إلا أن يعترف، وكان حكم اياس حاسماً جازماً: التعزير... وإعادة الدنانير.

وهكذا كان ذكاء إياس وسرعة خاطره وقوة ملاحظته تيسر له مستعصيات القضايا.

ومن الذكاء والفطنة عند ابن طولون.. أنه رأى يوما حمالا يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته، فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه!، وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل!!.. فأمر بحط الصندوق، فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت!! فقال ابن

طولون: أصدقني عن حالها وإلا ضربت عنقك؟ قال الحمال: إنهم أربعة نفر ياسيدي في الدار الفلانية - ووصف له الدار - أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة، فأمر ابن طولون بجلد الحمال مائتي جلدة، وأمر بقتل الأربعة[1].

ومن ذلك ما ذكر عن ذكاء بعض الأطفال وسرعة البديهة لديهم.. فقد مر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شارع، فرأى أطفالا يلعبون، فلما رأوه فروا جميعًا وبقي غلام[2] واحد لم يهرب، فقال له الخليفة: ما معناه لماذا لم تهرب مع زملائك؟ فأجاب الطفل: وعلام الهرب؟ لم أفعل ذنبًا فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك!

ومن ذلك.. أن الخليفة المتوكل زار بعض الوزراء فرأى ابنا له في السابعة من عمره فقال له: أيهما أجمل.. دارنا أم داركم؟ فقال الغلام على الفور: الآن دارنا أجمل من داركم! قال: لماذا؟ قال الغلام: لأن أمير المؤمنين فيها!!- ثم عاد فأراه خاتمًا ثمينًا في أصبعه فقال له: أرأيت أجمل من هذا؟ فقال الغلام: نعم! أجمل منه اليد التي تحمله.

(١) سمير الأدباء: لشعبان جبريل عبدالعال: ١٤٧.
(٢) وهو عبد الله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

ومن ذلك ما نقل عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، أنه سئل يوما: هل أنت أكبر أم النبي ﷺ؟ فقال هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله(١).

ومما يروى عن ذكاء أبي دلامة في مجالس الخلفاء وسرعة بديهته وفطنته.. أنه دخل على الخليفة المهدي وعنده وجوه قومه، فقال المهدي لأبي دلامة: ان لم تهج أحد الحاضرين فلاقطعن لسانك!، فنظر أبو دلامة إلى الحاضرين فاذا نظراتهم تتهدده وتتوعده ان هجا أحداً منهم، فما كان منه إلا أن قال: ألست أنا أحد الحاضرين؟ فأسعفه ذكاؤه فأنشأ يقول:

ألاَ أبْلِغْ لديكَ أبادُلامه
فلستَ مِن الكرامِ ولا كَرامهْ
إذا لَبِسَ العِمَامَةَ صارَ قِرْداً
وخنزِيراً إذا خلَعَ العِمامَهْ
جَمَعْتَ دَمامةً وجمَعْتَ لُؤْما
كذاك اللؤمُ تَتبعُهُ الدَّمامَهْ

(١) الأغاني ج٥ ص٨٥ وقصص العرب لمحمد احمد جاد المولى وزميليه ج٣ ص٢٧٨، باختصار وتصرف - الأذكياء لأبن الجوزي ص٣٣/ بتصرف.

فـان تـك قـد أصـبـت نــعـيـم دنـيـا
فـلا تـفـرح فـقـد دنـت الـقـيـامـة

فضحك الجميع، ولم يبق منهم أحد إلا أثابه وأعطاه، وأجزل الخليفة له العطاء[1].

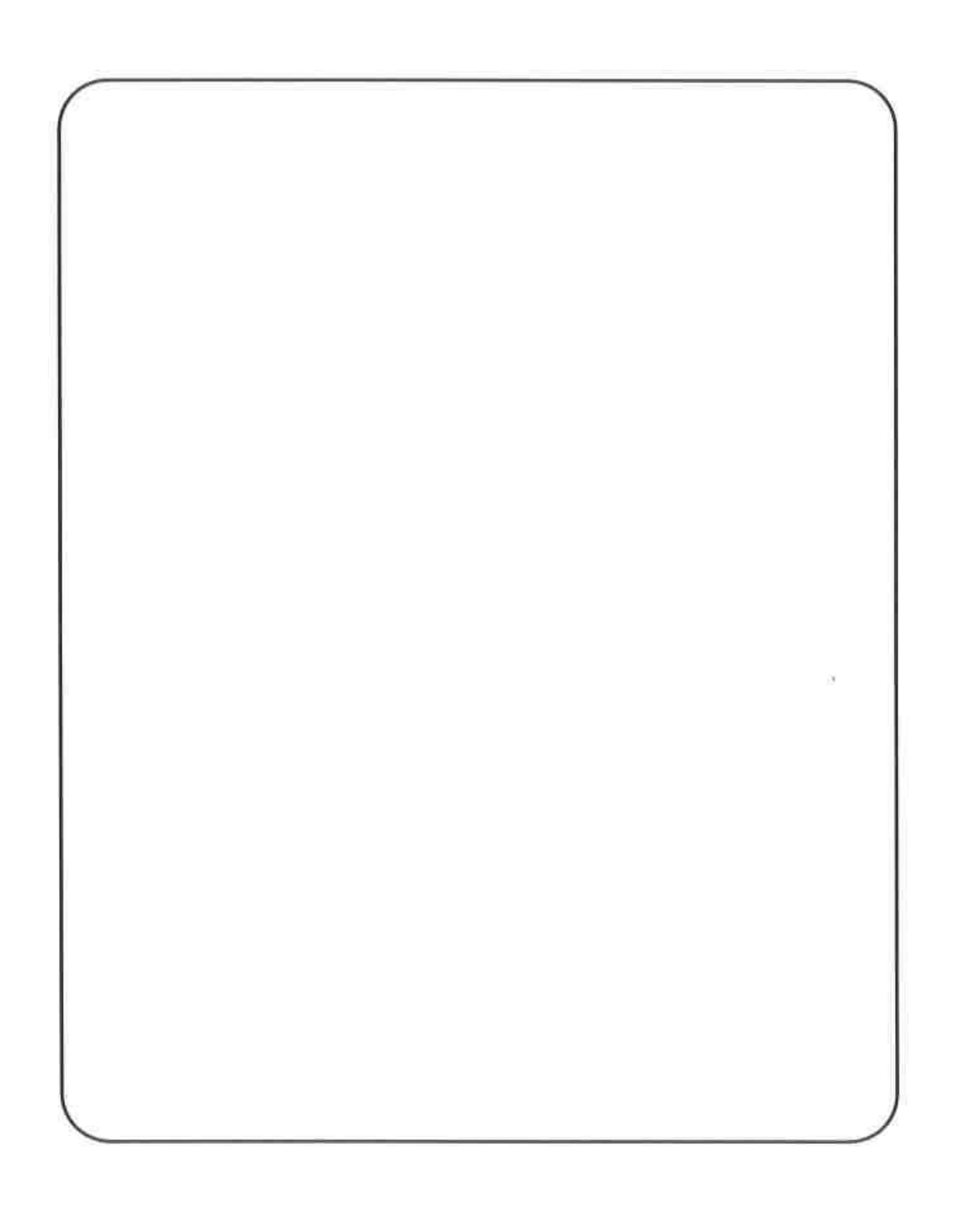
وما يروى عن ذكاء بعض الصبيان، ما رواه الأصمعي[2] حيث قال: قلت لغلام حديث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟! فقال: لا والله!؛ قلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي وتبقي على حمقي.

وقعد صبي مع قوم يأكلون، فبكى!، قالوا: مالك تبكي؟ قال: الطعام حار! قالوا: فدعه يبرد، قال: أنتم لاتدعونه.

وهكذا نرى أن الذكاء كالمال الكثير.. نعمة لمن أحسن استعماله في طريق الخير والبر، وهو أيضاً نقمة وبلوى لمن أساء استعماله فانحرف به، عن السبيل السوي والصراط المستقيم.



(١) سمير الأدباء: ج٥ ٣١ بتصرف. والدعوة والخطابة: ص٣٢ و٣٤ بتصرف.
(٢) الأصمعي: عبد الملك الباهلي(٧٤٠ ـ ٨٣١م) اشتهر في الشعر والنوادر واللغة.



هل السعادة في المال

هل السعادة في المال؟



الأعظم من الناس، يعتقد ذلك ويؤمن به لذا تراهم يجدون في السعي الحثيث لكسبه والحصول عليه، باعتباره الهدف المرجو والغاية المنشودة.

ولأهمية المال في حياة الناس.. فان أحدا لا يستطيع انكار ما له من قيمة وتأثير. فالمال هو عصب الحياة كما يقول الاقتصاديون، وقبل ذلك جاء امتداحه وذكره في القرآن الكريم ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاً﴾ الآية(١).

كلام حق لا خلاف فيه ولا اعتراض عليه؛ واعتقد كما هو ظاهر من لفظه (زينة) التي جاءت في الآية الكريمة انها تعني والله أعلم ان الانسان يستطيع بالمال اذا أعطي اياه أن يزين به مظاهرحياته، وهو الوجه الظاهر منها، مثل السكن الواسع والملبس النظيف والمأكل الفاخر والمركب المريح، ناهيك عما

(١) الآية ٤٦ من سورة الكهف.

سيتمتع به أيضا من جاه ونفوذ ومكانة اجتماعية وقول مسموع وخدم وحشم وغير هذه من محاسن المال وحسناته الكثيرة التي ستخفي عيوبه وتضفي عليه بالتأكيد ميزات كثيرة.

لكن ومع كل ذلك يبقى السؤال قائماً: هل يمكن اعتبار من يملك المال سعيداً؟ قد يكون كذلك وقد لا يكون. فكم هم أولئك الذين يملكون المال الكثير والخير الوفير ومع ذلك كما يدل مظهرهم ويؤكد مخبرهم تجدهم عندما تقترب منهم وتسبر أغوارهم، انهم غير سعداء بالمقاييس المتعارف عليها حتى من حيث الظاهر.

فلا صحة في الأبدان ولا راحة في البال، ولا تلذذ بنوم؛ تراهم دوماً في شغل شاغل وسفر دائم.. اذا خلوا إلى أنفسهم وانفردوا بها أخذو يضربون أخماساً بأسداس، ربما أسفاً على صفقة تجارية خسروها، أو على منافسة لم يكسبوها.

هكذا هو حالهم وهذا هو منوالهم، ينظرون إلى عقارب الساعة أكثر مما ينظرون إلى وجوه أبنائهم وأهل بيتهم وذويهم، وحتى أنفسهم ليروا كيف أن علامات الارهاق والحيرة نتيجة لعدم الراحة والاستقرار بادية على قسماتهم،

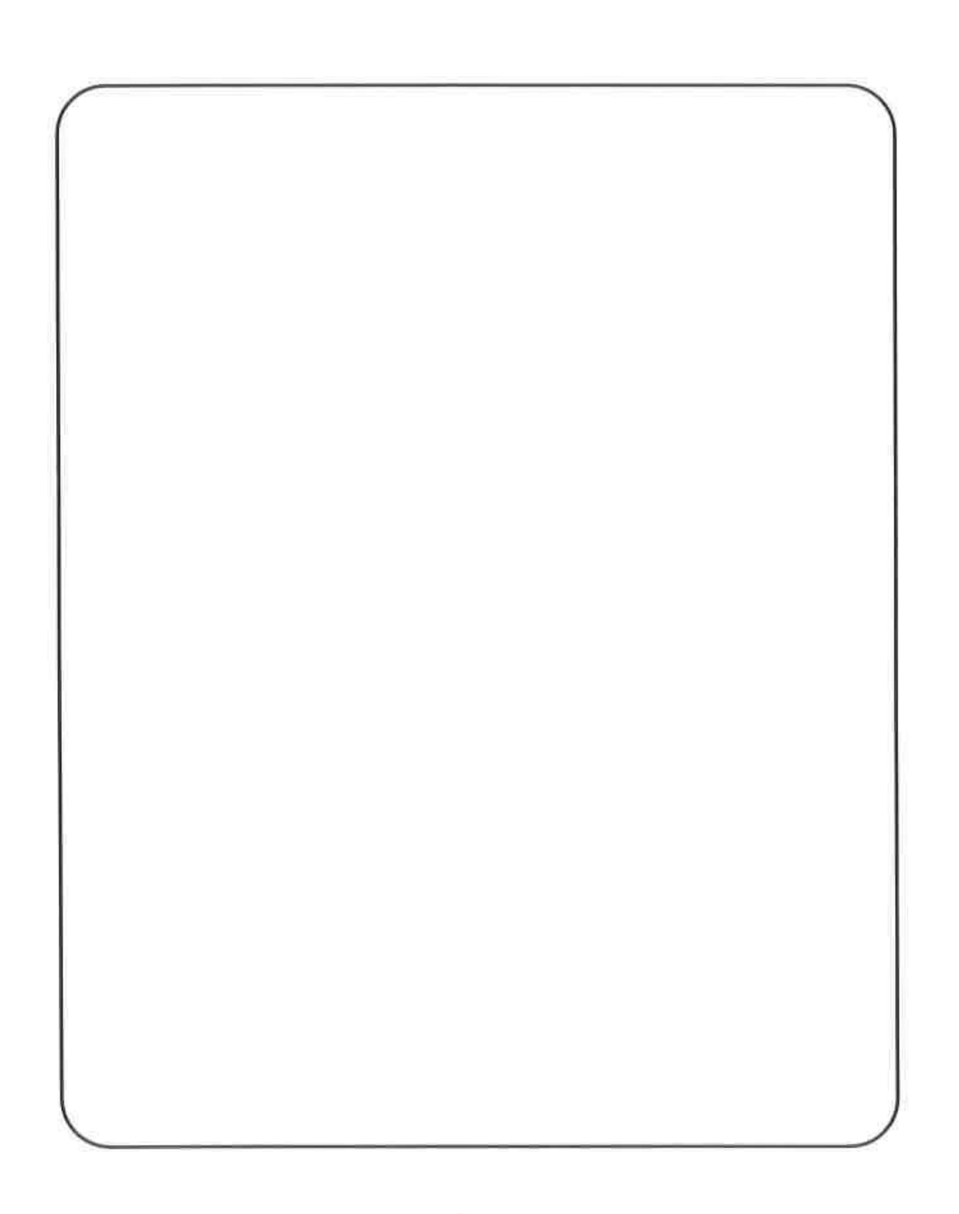
وليتبينوا فداحة ما فرطوا بـه من ثمن غال مقابل اضافة رقم أو أكـثر عـلى أرصـدتهـم الـتي قد يخـطـيء بعـضهـم في قـراءة أرقامها.

وقد غاب عنهم قول الإمام الشافعي رحمه الله:

(ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن التقي هو السعيـد)

وهذا لا يـعنـي، تحت أي تـصور مـني، أن كـل الأثريـاء مشغولـون أبدًا بهموم الدنيا عـن الآخرة، فالكثيرون منـهم ولله الحمد علـى وعي كامل وادراك وفهم ايمـاني عميق لما لـهم وما عليهم، ويعـلمون أيضاً أن كثرة المال قد يكون امتـحانـاً من الله سبحانـه وتعالى لهم، وابتـلاء ليرى جل وعلا كيف يـتصرفون وعلى أي وجه ينفقون؟.





كيف نتعلم فن المحبة؟

كيف نتعلم فن المحبة؟



... هي الترجمة الصادقة للحب، وهي أكثر منه عمقاً وأكثر تحملاً ومقاومة لصروف الدهر وتغير الأحوال لأنها تقوم على ثوابت.. ودوافع أخلاقية.. وفلسفات انسانية وقناعات دينية.

فبدون اشاعة المحبة بين الناس بتقوية دوافعها ومسبباتها.. تصبح الحياة خاوية خالية من كل معنى نبيل ومن كل هدف فضيل. فتبادل مشاعر المحبة بين أفراد المجتمع الواحد هو الجسر القوي المتماسك الذي يعبرون عليه إلى بعضهم بعضا وإلى دنيا السعادة الحقة، حيث الصفاء النفسي والنقاء الوجداني.

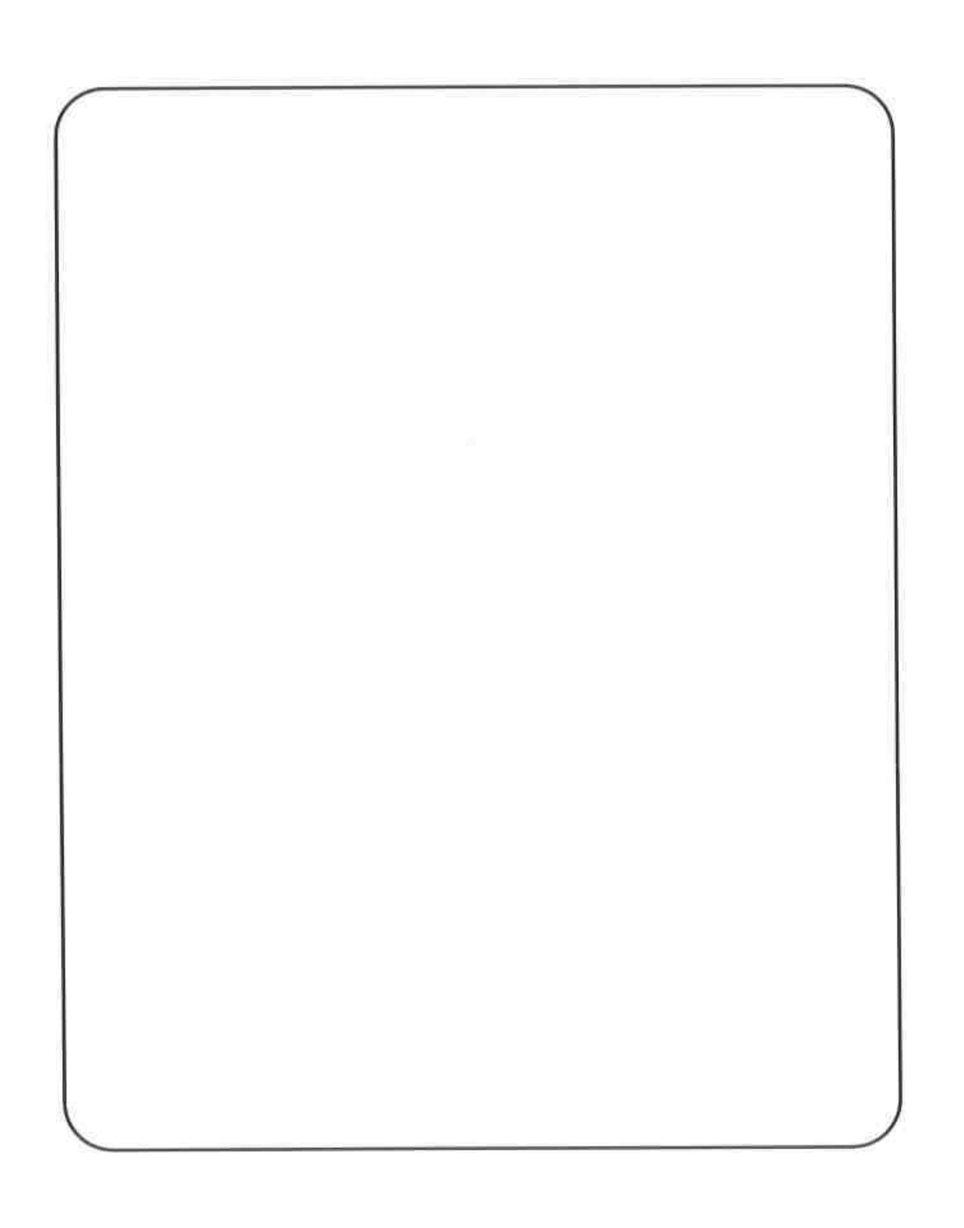
ولكن لن يكون في مقدورنا تحقيق هذه الغاية الأخلاقية السامية، وبلوغ هذا الهدف النبيل، إلا اذا استطعنا استخراج بذور المحبة من أعماق نفوسنا، ومن بين جذور مشاعرنا، لنصقلها ونزيل عنها ما علق بها من رواسب، وماعلاها من صدأ وما غلفها من شوائب، نتيجة لموروثات الكراهية

والبغضاء ومسببات الأحقاد من أطماع مادية، أو طموحات دنيوية تفرق بين الأهل والأحباب. وهذا لن يتأتى إلا بشيء من الفهم لفلسفة الحياة لندرك قيمها وقيمتها، حينئذ ستصبح الحياة أكثر اشراقًا في عيوننا، واطمئنانًا في نفوسنا، وعمقاً ايمانيًا في قلوبنا.

وبهذه القيم الروحية والسلوكيات الأخلاقية ستقوى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتحرر سلوكياته من سيطرة المادة وتحكمها. وعندها سيضعف غرور الإنسان، ويهن صلفه وجبروته، وسيلقي عن كاهله ما يثقله من هموم الحياة ومعاناتها.. سيراها حقيرة تافهة لا تستحق كل هذا العناء من أجلها، وأنها من القصر بحيث لا تعطيه مهلة للغرور والكبرياء، ولاتمنحه الفرصة الكاملة، ولا المسافة الكافية، ليدخل مضمار السباقات الطويلة، فدنيا الانسان هي حياته، وحياته هي تلك المسافة الزمنية المقدرة والمحسوبة، التي يقطعها راكبا قطار الحياة، والتي يعرف بالتأكيد محطة البداية، ولكنه لا يعرف محطة النهاية، وكيف سيكون نزوله منها.

إنه التساؤل الأبدي الذي لا يجد إجابة شافية!





قيمة الوقت في حياة الناس

قيمة الوقت في حياة الناس



العنوان قصة، فقد كنت في الصيف الماضي عائداً من احدى الدول الأوربية، وتصادف أن كان يحتل المقعد المجاور لي في الطائرة راكب أجنبي، اتضح لي فيما بعد أنه رجل أعمال.. وكعادة هؤلاء القوم، وخاصة الأوربيين منهم، شغل جل وقته بالقراءة حينا وبتقليب وكتابة ملاحظاته حينا آخر.. لذلك لم أجد فرصة لمحادثته من أجل التعرف عليه، فانهمكت بتصفح بعض الجرائد والمجلات التي كانت في متناول يدي..

ولكني لاحظت ملاحظة أثارت دهشتي وحركت فضولي، وذلك عندما اقترينا من محطة الوصول وأخذ يلملم أوراقه استعداداً للنزول، اذ بدرت منه بادرة غريبة فقد نزع ساعته من معصمه ووضعها في حقيبته ولا أدري لماذا أثار تصرفه هذا انتباهي ولفت نظري، ودفعني دفعاً.. على غير عادة مني.. لأن أقدم نفسي له كما يقولون، ولعلي أردت بدافع الفضول، معرفة سر خلع الساعة، خاصة وهو رجل أعمال،

الأمر الذي أعطى لسؤالي مشروعيته، ولما كانت الطائرة على وشك الهبوط، ولم يكن أمامنا متسع من الوقت للحوار، فقد بادرته بالسؤال:

ألم تخبرني أنك رجل أعمال؟

قال: بلى.

قلت: ألا يعني هذا أن للوقت عندك أهمية بالغة؟

قال: وكأنه كان يتوقع سؤالا كهذا.. بكل تأكيد ياعزيزي، فليس هناك أثمن من الوقت في حياة رجل الأعمال.

ولمعرفة سر نزعه الساعة **قلت له:** ولكني أراك لا تحمل ساعة، وهي كما تعلم المؤشر الدال على الوقت، بل انها تؤكد أهميته.

قال: ملاحظتك في محلها، ولكن لقناعات خاصة بي أخلعها عندما أكون في طريقي إلى أحد بلدان العالم الثالث!! ليس لعدم تقديري لقيمة الوقت ولكن احتراماً له!!.

قلت له: كيف يكون هذا؟ أهو لغز أم تناقض لم تستدركه؟!!.

قال: لا هذا ولا ذاك.

قلت له: أوضح.

قـــــال: الجميع يعرف.. بطبيعة الحال.. الغرض الذي أخترعت الساعة من أجله والمهمة الكبيرة التي تقوم بها.

قلت: لا أحد يجهل ذلك.. ولكنك لم تجب على سؤالي بعد.

قـال: وهو ينظر إلى بخجل: سأخبرك بشيء يبين لك الأمر، شريطة الا تغضب!! فالملاحظة عامة، وماسأقوله لك قد واجهته في بلدان عدة.. فمن واقع تجاربي وعلى مدى سنوات عديدة تعاملت في أثنائها مع فئات مختلفة من شعوب هذا العالم، يؤسفني جداً أن أقول أن معظمهم لا يقدر قيمة الوقت رغم أهميته مع أن الجميع فيها يحرصون كل الحرص على امتلاك ساعة، ولكن ليس بهدف التعرف على الوقت.. وانما للتزين بها والمباهاة بحملها.. حتى أن بعضهم لا يعرف إذا كانت ساعته تعمل أم لا!!.

وأردف قائلا: وحتى لا تتهمني بالتحامل على بلادكم والتجني على شعوبكم، أقول أنها .. أي الساعة .. هي كذلك في معظم بلاد العالم، لكن الصورة في دول العالم الثالث

أوضح!.. حتى أنك.. وهذا ما يؤسف له حقا.. لتلمس ذلك بين رجال الأعمال أنفسهم، وهم الذين يفترض فيهم أن يكونوا أكثر وعيًا وادراكًا من غيرهم لأهمية الوقت، باعتباره العامل الأكثر أهمية في حياتهم.. ولكن تجاربي الطويلة معهم أعطتني هذا الاحساس والانطباع الذي قد لا يكون مريحا لك، وهو كذلك بالتأكيد.

ومضى يقول، ومع ذلك كنت صريحاً معك عندما شعرت برغبتك التي عبرت عنها بأسئلتك المتلاحقة.. واستطرد قائلا وكأنه يريد أن يؤكد اتهاماته ويثبت أقواله: كم هي المواعيد التي أجلت والتي لم تتم في أوقاتها المحددة رغم أهميتها؟..

ولأن أخاك مكره لابطل.. فكان لابد.. طالما أن هناك مصالح مشتركة بيننا.. من معايشة هذا النهج في التعامل مع الزمن، ولتخفيف معاناتي النفسية أقنعت نفسي وأوحيت لها بأن ذلك الأمر ربما يكون نابعًا من مفاهيم فلسفية لمعنى الحياة، ترى أن الأنسان يجب أن يكون هو الأقوى والطرف الفاعل المؤثر فيما حوله، بحيث لا تسيره عقارب الساعة وأن لايدور مع دورانها!!.

لذلك لم أعد أهتم كثيراً عندما يؤجل اجتماع أو يقدم! ولكن أشد ما يزعجني هو عدم قدرتي على تحديد مدة اقامتي في هذا البلد أو ذاك الأمر الذي يضعني أمام عائلتي في حرج شديد.

وختم حديثه متسائلا: ألا ترى معي – والحال كذلك – ألاّ ضرورة لحمل الساعة مع أنها لم تعد تشكل ثقلاً على اليد بل تزين معصمها وتضفي عليها جمالا؛ وتنفي عن صاحبها تهمة إضاعة الوقت واهداره فيما لا ينفع ولا يفيد. وبهبوط الطائرة توقف الحوار بيننا، وباسترجاعي اياه فيما بعد وجدته رغم ما كان به من مبالغة وتهويل إلا ان فيه أيضاً الكثير من الصدق والموضوعية .. فمعظم أبناء جلدتنا.. ولا أقول كلهم كما قال.. لا يقيمون وزنا لأهمية الوقت، ولايعنيهم في كثير أو قليل، مع أن الوقت كما تعلمون هو الحياة، وساعاته ودقائقه التي تمر لا ترجع ولا تعوض على الاطلاق.. فكيف يجلس المرء مكتوف اليدين لا يحرك ساكنا أمام عمره الذي يذهب هدرا ويمضي سدى، دون أن يستغله في عمل مفيد أو مسلك حميد أو كسب لما بعد الموت نافع، أو تأليف بديع رائع، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر.. اذ أن

أيام العمر محدودة، حتى ساعاته ودقائقه محسوبة معدودة ورحم الله شوقي اذ يقول:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثواني
فاختر لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثاني

يقول الحسن البصري رحمه الله: (**أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منكم على دراهمكم**)!. ومادمت تعلم يا أخي أن الوقت نفيس ثمين، فكيف تضيعه فيما لانفع محمود من ورائه، وقد صدق الشاعر حيث قال:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ماعليك يضيع

والوقت لكي يحسن استغلاله بصورة جيدة، لابد له من تنظيم وترتيب وسلوك نهج معين للتعامل معه، ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك: (ينبغي للانسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على

المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوف على الموقوت، فما كان مطلوبا بصفة عاجلة، يجب أن يبادر به، ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته دون تقديم أو تأخير).

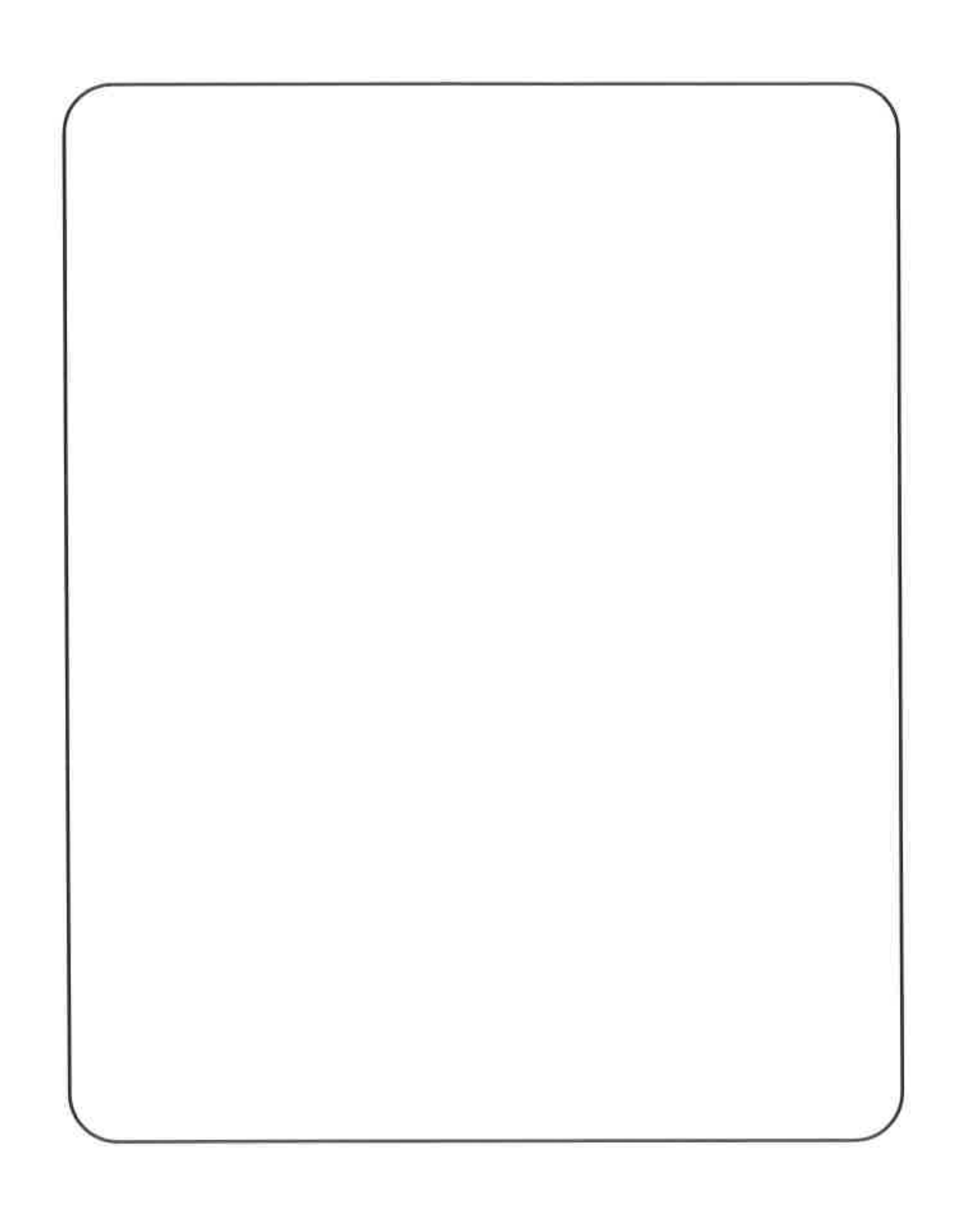
وأحوج الناس إلى تنظيم الوقت هم أولئك الذين يشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات لتزاحم الأعباء عليهم، وينبغي أن يكون ضمن برنامج تنظيم الوقت جزء للراحة والترويح، فان النفس تسأم بطول الجد، والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح، كما قال الامام علي – رضي الله عنه – : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فان القلوب اذا كلت ملت واذا ملت عميت. وينبغي أن لا يرهق المرء نفسه بالعمل ارهاقا يضعف من قوته، ويحول دون استمرار مسيرته، ويحيف على حق نفسه، وأهله، ومجتمعه، ولو كان هذا الارهاق في عبادة الله تعالى صياماً وقياماً، وتنسكا وزهدا.

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: (اني لأكره أن أرى أحدكم سهلا (أي فارغا) لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة».

وقال أيضا: (أرى الرجل فيعجبني فان قيل لا عمل له .. سقط مـن عيـني). وذلك لأن الرجـل الفـارغ (أي الـعاطـل) لا قيمة له.

فـالـبـدار.. البدار إلـى اسـتـغـلال الـوقت فـي الأعـمـال الصـالحة للآخرة، ولاتـنس نصـيبك مـن الدنيا، (وتـزودوا فان خير الزاد التقوى).





هل النصيحة تغضب؟

هل النصيحة تغضب؟

لم يكن من أولئك الذين يميلون بطبعهم إلى الثرثرة وكثرة الكلام، إلا أنه هذه المرة على غير عادته كان راغبًا فيه ساعيًا إليه.. نظراته المصوبة إليّ تعبر بجلاء ووضوح عن رغبته تلك. فما أن انفرد بي في أحد أركان المكان الذي كان يجمعنا مع بعض الأصدقاء حتى بادرني بسؤال مباشر لم يقدم له أو يجعل له مدخلا.

قال: أخبرني بربك هل النصيحة تغضب، وهل يمكن أن تكون معول هدم وسبب قطيعة وفرقة بين الأصدقاء؟؟

قلت: لم لا؟ انها كذلك في معظم الأحيان والمواقف. فالنصيحة مرة. وهي نقد صريح وتقبلها أو رفضها يتوقف على أمور كثيرة، لعل من أهمها نوع صلة القرابة بين أطرافها وكذلك المكان والزمان والأسلوب والطريقة التي تبلغ بها تلك النصيحة، ومدى حساسية هذه النصيحة وما يمكن أن يترتب عليها ماديا أو معنويا.. ومدى استعداد الطرف الآخر لتقبلها.

قال: اني أدرك كل ذلك، وحتى يكون حكمك على بينة، اصغ إلي واسمع مني.

قال: إنه أحد الأصدقاء الأثيرين عندي المقربين إلي. كانت بداية هذه العلاقة الانسانية بيننا عندما التقيت به في احد منعطفات الحياة؛ وللتقارب بيننا في المشارب والطباع نشأت بيننا صداقة وتآلف، والصداقة هنا في نظري هي أرقى مراتب العلاقات الانسانية واسماها، وكانت الثمرة الطيبة لما سبقها من أسباب تقارب.

قويت هذه الصداقة مع مرور الأيام وتوثقت عراها، وتعمقت جذورها واصبحت شجرة ممتدة الأغصان وارفة الظلال شامخة عملاقة تقاوم بثباتها عواصف الدهر وتقلب الأيام، وعندما تهتز قليلا بفعل رياح التفاعل مع حركة الحياة، لا يسقط منها إلا وريقات الخريف الذابلة لتنبت مكانها أخرى خضراء يانعة.

هكذا كانت صداقتنا وبهذا قاومت الزمان.. طال عمرها واستمر صمودها مرت بنا الأيام نعيش مشاعر هذه الصداقة ونستنشق عبيرها، نسخر من كل الرغبات والأهواء التي قد

تؤثر عليها أو تسيء إليها، ونبتعد عن كل ما يمكن أن يكون سببًا في هدم أركانها أو تقويض صمودها.. لذلك كانت كل المسالك التي تربطنا ببعضنا ممهدة سهلة العبور خالية من الأشواك والصخور.

لا أذكر في يوم من الأيام أننا اختلفنا في أمر من الأمور أو حصلت بيننا خصومة أو حدث جدال.

ربما للتطابق في الغايات والأهداف؛ أو لعدم وجود مصالح نفعية بيننا وهي في الغالب ما تفسد المودة وتورث العداوة والبغضاء بين الناس. فكل ما كان بيننا توافق في السلوك والتقاء في الأفكار وفهم مشترك لطبيعة الحياة وفلسفتها لذلك كانت بحق صداقة مثالية لم تشبها شائبة، وأخوة نموذجية لم يعتريها كدر، تشربها الأبناء والأحفاد.. صورة ناصعة تجسد اسمى معاني الصداقة والإخاء.

ولكن.. وهذا من منطق الحياة وفلسفتها ما من شيء كانت له بداية إلا وله نهاية، والشجرة النضرة لابد وأن تكبر يومًا وتشيخ بعد أن يتوقف نموها ويجف عودها وتضعف مقاومتها وينهار صمودها أمام متغيرات الحياة وهذا ماكان من

أمرنـا، فقد جـاء ذلك اليـوم الذي وجدنـا أنفسنا نـقف فيـه أمام مفترق طرق؛ لم تكن وجهتنا واحـدة كما كانت، فقد فعل الزمن فعلته.. ماتت خلايا واضمحلت أخرى، ولم تعد التربة صالحة لنبت الزهور وتغذية الجذور بعد أن امتصت أملاح الغرور.

إنها النفس الـبشرية التي تضعف مقاومـتها أمام شهوات الحياة ومغرياتهـا فتقبل على حبها وماذلك إلا نتـيجة لما يصيب النفس البشرية من وهن وضعف ايمان، وهو الأمر الذي يفسح المجال للأنانية (حب الذات) كي تسيطر على صاحبها وتبسط عـليـه نـفـوذها، وبـوحـي مـن هذا يـأخـذ بـتدقـيق الـحسابـات وبالتراجع عن الوفاء ببعض ما كان عليه من واجبات تفرضها عـليـه وشـائـج قربـى أو عـلاقـات صداقـة أو إخـاء فـلا تزيـده نصـيحة نـاصح لـلتراجـع عن ذلك إلا عـناداً ومـكابرة وهـو ما انتهى إليه أمر صاحبنا وأمري معه.

أما كيف حدث الافتراق وانفصمت عرى الصداقة واختلف الاتجاه، فذلك كان بسبب نصيحة أخـوية أسديتها إليه وكلمة حق قلتها له عندما علمت بـأنه قد قصر في اداء واجب نحو أحد أفراد أسرته الأقـربين.. فقد رأيـت بحكم الـصداقة الوطـيدة بينـنا ووشـائج الأخـوة التـي تربـطنـا ببـعضـنـا، أن عـلي واجـب

النصح له اعتقاداً مني لدرجة تقرب من اليقين انه سيقبلها بصدر رحب وبقلب مفتوح، ولكنها – مع الأسف – لم تجد منه قبولا بل نتج عنها قطيعة منه ومقاطعة بحجة أن ما نصحت به ونهيت عنه هو أمر عائلي لايعنيني وأن لي حدودا يجب ألا أتجاوزها.. هكذا قال وبصوت مرتفع. وأدركت حينئذ.. وأن لم أكن أجهل.. ألاّ شيء يصمد طويلاً أمام رياح التغيير، فالأحوال تتغير والعواطف تتبدل كما تغير الرياح ملامح وجه الأرض وتضاريسها بفعل مايسمى بعوامل التعرية.

انها الحقيقة التي لا ندركها إلا بعد فوات الأوان، فتسبب لنا معرفتها صدمة نفسية عنيفة، وقد تفقدنا الثقة بأنفسنا وبمن حولنا.

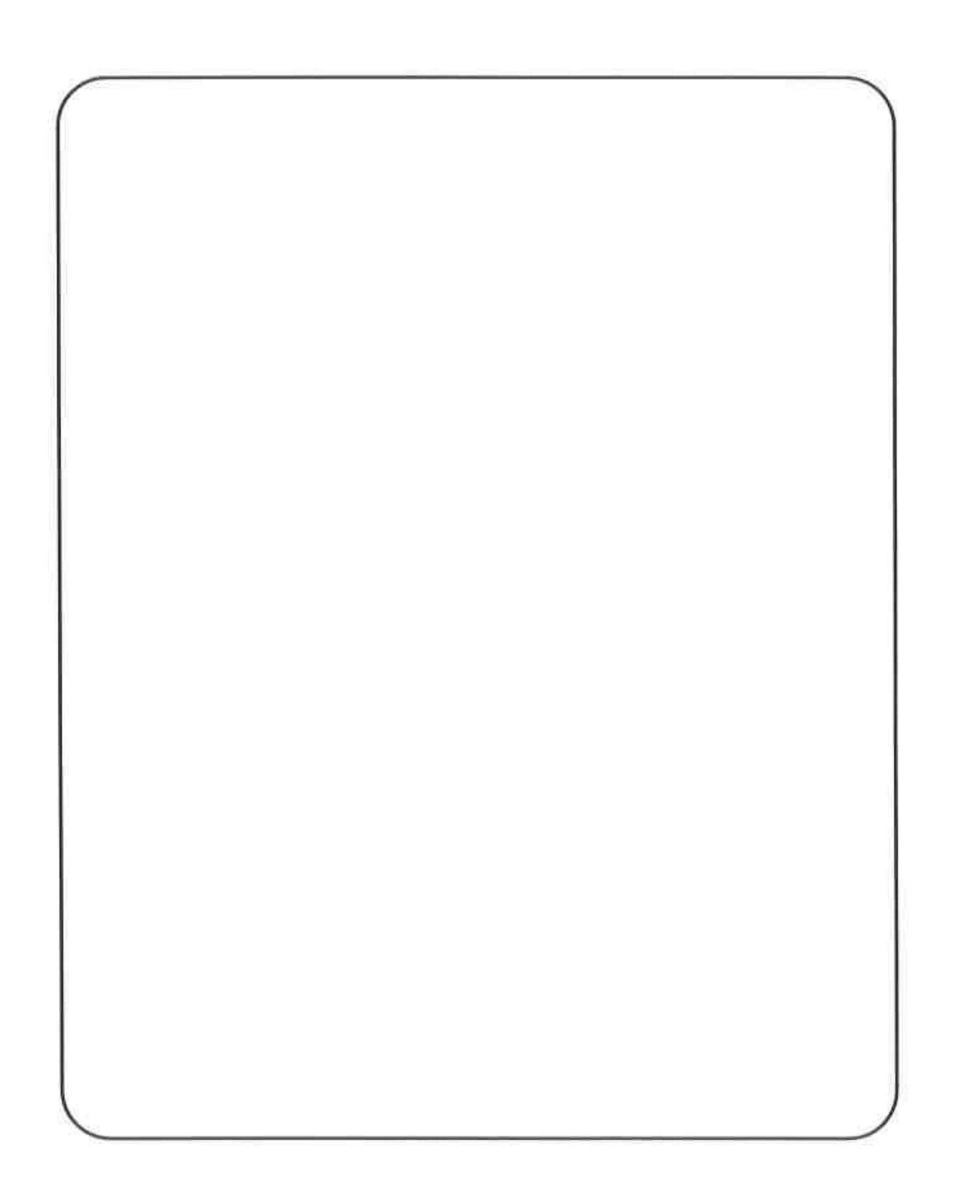
ولكن يبقى السؤال الذي يفرض نفسه ويحمل علامات تعجب واستغراب:

أحقا أصبحت النصيحة تغضب ولا ضرورة لها؟

بعد أن كانت تشد لسماعها الرحال؟؟

(وقد قيل قديماً النصيحة الصادقة تعدل جملاً)





خير جليس

خير جليس



أن تلقي بالموضوع جانبًا دعني - عزيزي القاريء - أخبرك بأني قد أدركت عندما هممت بكتابة هذا الموضوع أنك ستقول أنه الكتاب.. فالموضوع مقروء من عنوانه كما يقال: لكثرة ما كتب عنه وتناولته الأقلام وما أثير حوله ونصح به ودعي إلى قراءته، ومصاحبته واتخاذه أنيسًا جليسًا يطمأن إليه لأنه أمين مؤتمن لا يفشي سراً ولا يكشف ستراً، لا يكذب ولا يخادع، أنه عند حسن ظنك كما أخترته أنت لا يغير ما في نفسه ولا يبدل.

إذا.. فالموضوع قديم مستهلك، ومهما حاولت الالتفاف حوله فلن أفلح أو آتي بجديد. ومع ذلك أستميحك عذرًا - عزيزي القاريء - في أن (تفوتها لي هذه المرة) كما يقال في لغة العامة فقد سال المداد وتداعت الكلمات.

وسترى رغم ذلك أني لم آت بجديد وإنما هو تأكيد على أهمية أن تفسح للكتاب حيزًا في نفسك ومكانًا يليق بمجلسك

العامر بالأصدقاء والسمار.. فهو لن يزعجك أو يقاطع حديثك، ستجد أنه يعي أدب المجالس، يتميز بالحكمة والتزام الصمت.. لا يتكلم إلا إذا أستنطق ولا يصمت إلا إذا صرف النظر عنه وسدت الأذن عن حديثه... لا يمل مجالستك ولا يشكو من قربك ولا يرغب في غير صحبتك والمثول بين يديك، ستجده لصيقاً بك يبدد وحدتك، ويزيل عنك وحشتك بعد أن يكون قد انفض الآخرون من حولك وتركوك وحيداً في مجلسك.

فكلما أطلت معه اللقاء زادك نفعاً وعطاءً.. رهن اشارتك يأتمر بأمرك وينفذ إرادتك، ملازماً لك رفيقاً بك.. ستشعر عندما تراه إلى جوارك بالراحة النفسية والهدوء، وعندما تتلقفه يداك وتضمه إلى صدرك ويحس بحرارة حبك له ورغبتك في مداعبة صفحاته وسبر أغواره، سيبثك أشواقه ولواعجه ولن يبخل عليك بما يملك من علم وخبر.. وسيقص عليك بالأسلوب الذي يعجبك وبالصوت الذي يريحك، سير الأولين وأخبار السابقين وملح المعاصرين، ويحذرك من تكرار مساوئهم وأخطائهم، ويرشدك إلى مواضع القوة والضعف فيهم.

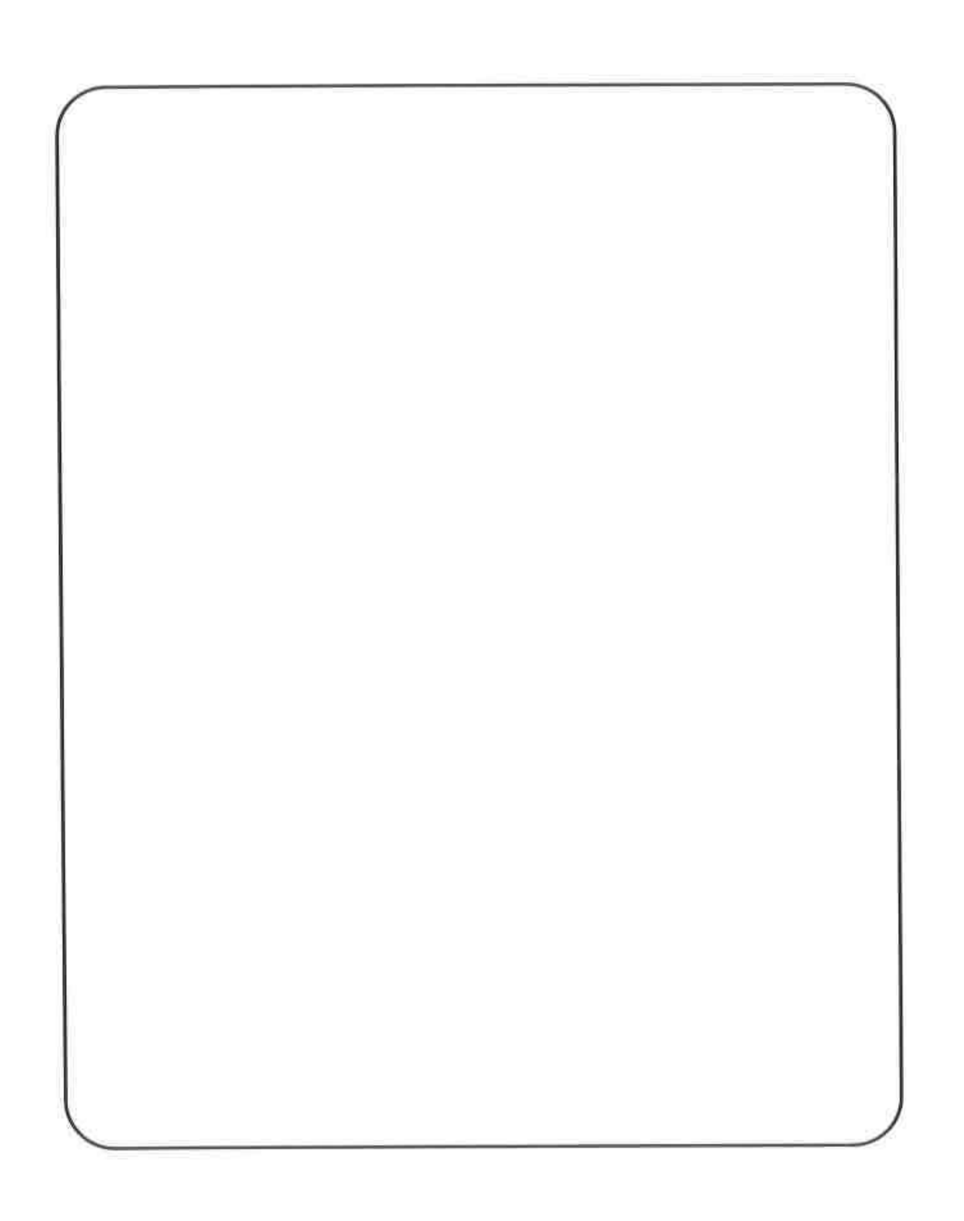
كلما احتككت به أكثر شحن عقلك بطاقة فكرية ومفاهيم

علمية تكتشف من خلالها أسرار الحياة وغوامضها... سيمنحك دروساً مجانية.. ثمنها وقت مستقطع - كما يقول المصطلح الرياضي - فان أنت توقفت عنده مفكراً متدبراً سترى بعين عقلك حقيقة نفسك وأحوال غيرك... وسيكون النافذة العريضة التي تطل من خلالها على العالم من حولك، سيكون الجسر الذي تعبر عليه إلى دنيا العلم والثقافة.. سيجعلك أكثر ثقة بنفسك ويقوي فيك القدرة على حسن الاختيار حيث تتعدد أمامك المسالك والطرقات.. سيضع بين يديك رموزاً تحل بها المعادلات الصعبة، وتبين لك الفوارق بين مختلف المذاهب والأفكار. إنه الكتاب خير جليس.

فهلا أفردت له مقعداً إلى جوارك ليكون رفيق دربك ومؤنس وحدتك؟

افعل فلن تندم





عندما نفشل في الحساب

عندما نفشل في الحساب



أن نحقق شيئا من النجاح مع أننا أخفقنا في فهم وإدراك معنى كثير من تلك العلوم الإنسانية التي تدرس لنا كالجغرافيا واللغات ونحوهما، ولكننا سنواجه الإخفاق بكل عواقبه الوخيمة إذا نحن لم ننجح، وبتفوق في مادة الحساب.

مهلاً.. عزيزي القارئ.. فلست أعني بالحساب هنا ما قد يتبادر إلى ذهنك لأول وهلة، وهو أن نجيد أسلوب التعامل مع الأرقام ونبرز في اجراء تلك العمليات الرياضية الأربع المعروفة؛ ولكن ما أقصده وأهدف إليه هو أن نخضع ما نفكر به وننوي عمله لعملية حساب لجدوى المكاسب المأمولة والاحتمالات المتوقعة قبل الشروع في تنفيذه.

وعلى ضوء النتائج المتوقعة نقرر ما إذا كان علينا الاقدام أو الاحجام عما ننوي القيام به.

في مجال التجارة على سبيل المثال نجد أن الكثيرين ممن أشتغلوا فيها قد أخفقوا وتعرضوا لخسارة مادية فادحة كانت

قاسية عليهم لأنهم لم يخضعوا قرارهم هذا قبل الاقدام عليه لما يسمى بحساب الجدوى الاقتصادية، وقد يعود سبب اخفاقهم إلى أنهم لم يكونوا من ذوي الاختصاص.

وربما كان هذا النوع من العمل لا يتفق مع ميولهم وقدراتهم الذاتية لذلك لم يحسنوا التعامل فيه والتعاطي معه ففشلوا وأخفقوا في تجارتهم.. فما أشبه هؤلاء بمن يقفز في اليم اعتقاداً منه أنه قادر علي السباحة وهو لا يجيدها فتكون النتيجة الغرق المميت، وقياساً على ذلك فان ما يقدم على فعله المغامرون من حركات بهلوانية خطيرة غالباً ما يفقدون حياتهم بسببها، ليس نظير شيء يستحق التضحية بالحياة من أجله، ولكنها الغريزة المدفونة في العقل الباطن هي التي تدفعهم لمواجهة الموت وتعجل بنهايتهم، كما يقول بعض علماء النفس.

ولكن أشد هؤلاء خطراً على الإنسانية ذلك الصنف الذي تتعدى نتائج مغامرته إلى غيره؛ كأولئك الزعماء الذين بما لديهم من سلطة وتسلط يسيرون الجيوش لشن حروب لم يقدروا نتائجها حق قدرها.

والتاريخ الإنساني.. قديمه وحديثه وعلى مر العصور

وتعاقب الدهور.. زاخر بقصص المآسي والويلات التي اصيبت بها البشرية نتيجة استجابة لنزعة شيطانية وخطأ قاتل في الحساب

وقد يقول قائل إنها سنة الحياة أو هي طبيعة النفس البشرية التي جبلت على الأنانية وحب الذات.. إنه الصراع الأزلي الذي لم ينته أو يتوقف عند حد، منذ أن وقع أول ظلم في الأرض عندما قتل قابيل أخاه هابيل حقداً عليه.

إنها الرغبة في السيطرة والاستحواذ وحب التملك وبسط النفوذ، وهذا ما دفع بالزعيم النازي (أدولف هتلر) لشن الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها بسبب حمقه ورعونته وشذوذه واختلال عقله.. أكثر من أربعين مليون نسمة، وعندما أيقن بالهزيمة التي لم يكن يتوقعها بسبب سوء التخطيط، لم يجد بدّاً من مواجهة الموت، فقتل نفسه منتحراً ولسان حاله يقول بيدي لا بيد عمرو، تاركاً بلاده تقبع تحت الذل والمهانة وسيطرة المنتصر مع أن جيوشه قد أبلت في ميادين القتال بلاءً حسناً، ولكنه خذلها بدكتاتوريته.. فأصيبت بالضعف ولم تعد قادرة على الصمود والمقاومة فتوالت عليها الهزائم من كل حدب وصوب فكان الاستسلام

الذي تلا الهزيمة والخذلان.

فهل تعتقد.. عزيزي القاريء بعد هذا أن هتلر قد حسبها عندما فكر فيها؟ ربما. ولكن نظراً لاخفاقه في الحساب لم يستطع استخلاص النتيجة الصحيحة، وإلا لما حدث ما حدث، ولكنه الشذوذ الفكري والانحراف العقلي الذي يزين لصاحبه أعماله.

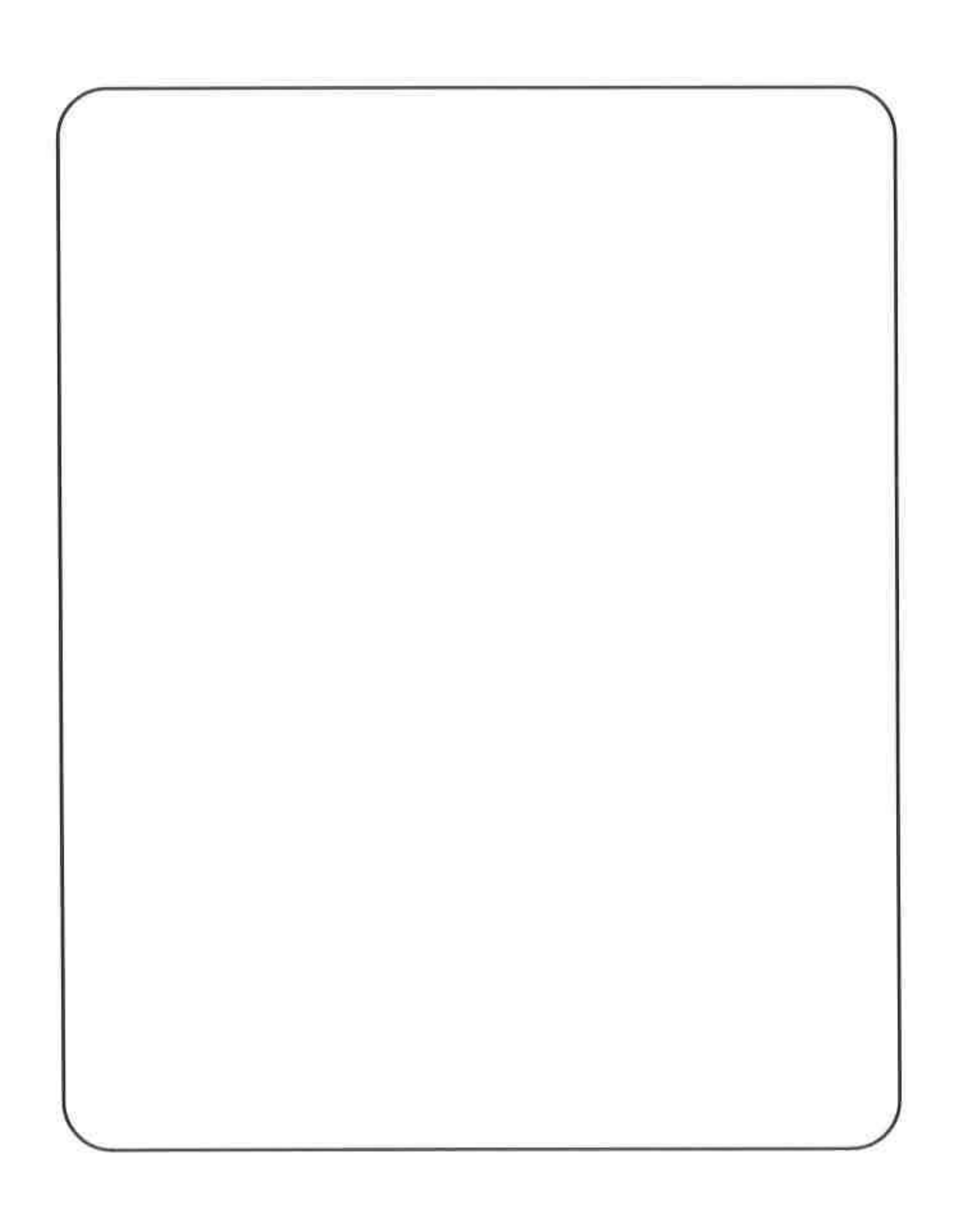
وهذا ما فعله من بعده ووقع فيه زعيم آخر هو صدام حسين عندما قرر في لحظة انفلات عقل، وانطلاق عاطفة هوجاء أن يجعل من جارته دولة الكويت وأرضها محافظة عراقية منحها بموجب مرسوم رئاسي جمهوري الرقم (١٩)، فكان لهذا الخطأ القاتل ما كان من نتائج معروفة اثبتت جهله في الحساب والتاريخ معاً.. قد يكون حسبها ولكن على أصابع يده القاصرة المحدودة المدى والأبعاد؛ لذلك لم تعطه النتيجة واضحة. وإلا لتصور نتائجها، ولما أقدم على مغامرته تلك ولتراجع عنها، ولكن أخشى ما أخشاه أنه – وعلى رغم كل ما حدث – مازال مقتنعاً بما فعل وأنه يرى وان كان خسر حرباً إلا أنه قد دخل التاريخ من أوسع أبوابه، وهذا يكفيه من وجهة نظره فخراً ومكسباً؛ ولكن أي فخر هذا وأي مكسب؟!!.

وأخيراً يبقى رأيك... عزيزي القاريء... فهل تراك متفقاً معي على أن قراءة التاريخ وفهمه والاستفادة مما فيه من عبر وعظات، وان اجادة الحساب وتحري الدقة فيه واجبة لنجنب أنفسنا العثرات ونبعدها عن مواطن الزلل، والوقوع فيما وقع فيه الآخرون من مهالك؟

وما أحوجنا إلى الأخذ بالحكمة القائلة – (العاقل من اعتبر بغيره) – والعاقل من قال:–

(اللهم لا تجعلني عبرة لغيري)





الإرادة

الإرادة



يقف إنسان متعثرًا في بداية الطريق لعجزه عن مواصلة السير فيه، أو يضعف في التخلص من إحدى العادات السيئة المسيطرة عليه كالتدخين مثلاً... أو غيرها من السلوكيات أو العادات الأخرى غير المستحبة، حتى يرد ذلك إلى ضعف ارادته وعدم قدرته على استنهاضها والتحكم فيها للوقوف أمام هذه الممارسات الخاطئة ونبذها، وتجنب آثارها السيئة بعد أن يكون قد تبين سوء عاقبتها وما يترتب عليها من آثار ذميمة وما تخلفه به من مضار أقل ما يقال فيها أنها توجب نفور الناس منه وابتعادهم عن مجالسته.

وكما هو معلوم، فإن الأصل في أفعال الإنسان رغبته فيها والدافع إليها ارادته، ولكي يستبدل هذه الرغبة أو تلك بأخرى فلابد أن يكون ذلك بإرادة أقوى منها.

إذًا ... فالإرادة النشطة المتبصرة هي القادرة على احداث التغيير، لأنها القوة المختزنة داخل عقل الإنسان الذي

يعرف متى وكيف يستثيرها... ليحقق المعجزات ويتغلب على المصاعب والعقبات التي قد تعترض مسيرة حياته أو تقف أمام تحقيق طموحاته وآماله.

وكما جاء في الموسوعة العربية الميسرة: فإن التعريف السايكولوجي للإرادة هو:

(القدرة على اختيار غاية من غايتين أو عدة غايات متصارعة بحيث تكون المقاومة المشعور بها في أثناء الموازنة بين الغايات، أقوى في جانب الغاية التي سيختارها الشخص نهائياً ليحاول تحقيقها).. وقيل أيضاً في تعريف الإرادة **بأنها خرق العادة.**

وبهذا المنظور يمكن القول بأن الانسان استطاع بالإرادة القوية وهي العزم والتصميم أن يهبط على سطح القمر بعد أن اكتشف ماهيته وعرف طبيعته، والأحوال المناخية المحيطة به، وقد كان قبل ذلك بما وهبه الله من قدرات عقلية قد مهد لذلك بما توصل إليه من مخترعات علمية سهلت له كل أمر صعب وفتحت أمامه الطريق، وها هو ذا اليوم يصول ويجول في الآفاق البعيدة ويراقب النجوم ويرصد تحركاتها ويدرس

قشرة الأرض ويغوص في أعماق البحار يسبر أغوارها ويستخرج خيراتها، وما ذلك إلا لأنه بإرادة الله وتوفيقه قد اهتدى إلى سر ذلك ووضع إصبعه عليه.

إنها الإرادة القوية إذاً.. وإلا لما استطاع المزارع فيما مضى على ضعفه وتواضع امكانياته تحطيم الصخور وتسوية الأرض وتعديل منحنياتها وبسط السهول فيها ليجعل منها بساطاً أخضراً يعطي الثمرات وسواقي يجري فيها ماء الحياة.

وهل غير الإرادة القوية والتصميم على تحقيق الغاية وبلوغ الهدف ما جعل فئة من أولئك العلماء الجهابذة يهبون حياتهم رخيصة لخدمة الإنسانية، يمضون جل أوقاتهم داخل حجرات مظلمة ومختبرات مقفلة لايدرون ساعات الليل من النهار ليقدموا للإنسانية نتاج أفكارهم وثمرة عقولهم وعصارة تجاربهم أمصالاً وعقاقير طبية صانت حياة الإنسان وحافظت عليها.

على أن الأمر لا يتوقف عند أفعال الإرادة الإنسانية في مجالات الفكر والابداع والقدرة على زيادة الانتاج، بل ينسحب أيضاً على القضايا الحياتية اليومية للإنسان، وعلى وجه الخصوص قدرته على مواجهة ما يطرأ على سلوكياته

من تغيير وانحراف ومراجعتها لحفظ التوازن في السلوك العام وتحقيق الاعتدال في كافة التصرفات، لأننا كثيراً ما نجد للأسف الشديد أناساً لا يكفون عن الشكوى من أنهم قد تعرضوا في غفلة منهم لعملية سطو سلبوا فيها القدرة على المقاومة في غياب الإرادة الرادعة، فأصبحوا أسهل انقياداً وأسرع استجابة لرغبات مضرة استعبدتهم... ففقدوا أمام إغراءاتها القدرة على المقاومة فاستسلموا لها طائعين.

وأقرب مثال على ذلك عادة التدخين ... وإن شئت فقل عاهة التدخين لأنها العادة التي يعاني منها الكثيرون... العادة الأكثر شيوعاً والأوسع انتشاراً بين الناس والأكثر تسلطا وتحكما بمن ابتلى بها، فهي لا تفرق بين صغير وكبير ولا بين غني وفقير ولا بين معتل وسليم.

الأغلب منقاد لها ومستسلم لتأثيرها، ولعل من أسوأ مظاهرها أن ترى انساناً مكتمل الرجولة تحسبه موزون العقل والتفكير.. يعجبك مظهره ويشدك إليه حديثه ومنطقه.. فتراه وأنت في حضرته يقوم بحركة (لا إرادية) أو هي بإيحاء من الإرادة المختزنة بعقله الباطن.. يدخل يده في جيبه بخفة ورشاقة ويأخذ بامتصاصها بشهية وعيناه زائغتان وكأنه يلتهم

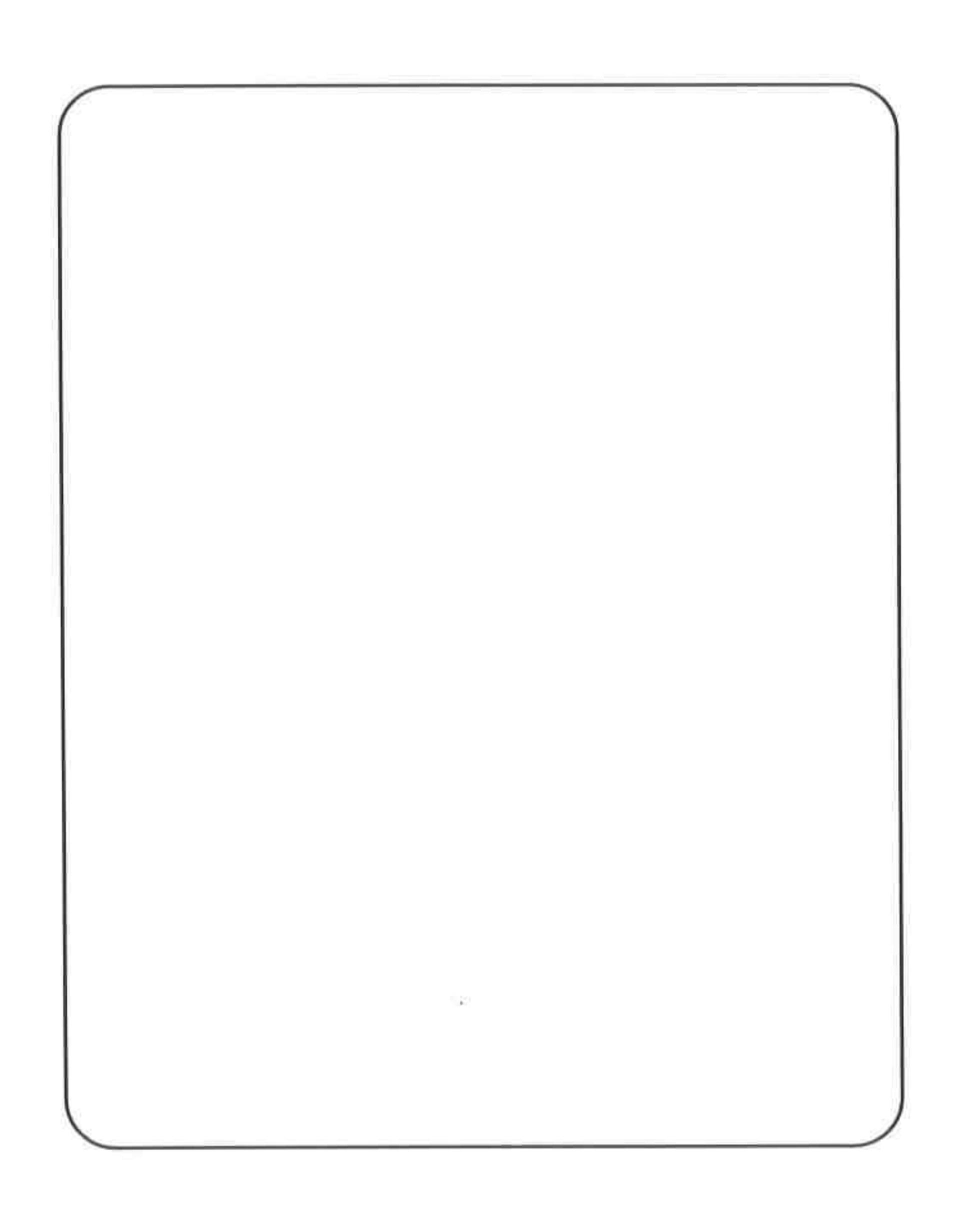
طعاماً لذيذاً بعد جوع ومسغبة مكتفياً بنصف انتباه لما تقول، فتدرك في الحال أي نوع من الرجال هو من حيث القوة الكامنة في أعماقه.. ومن خلال ما ينفثه من سحائب دخان كثيف تأخذ صورته تهتز.. بين ناظريك.. فلا تعود ملامحه واضحة المعالم، وربما تنسحب من أمامه دون أن يحس بك أو يدري عنك.

هذا الواقع المؤلم يجسد أمامك الإنهزام النفسي والتخاذل المعنوي أمام لفافة تبغ لا يتجاوز طولها الأصبع الواحد.. ويبدأ عقلك في تحليل هذه الظاهرة.. وتسترجع ما مر بك من تعريفات لمعنى الإرادة وتحاول أن تجد لها تفسيراً مقنعاً من بين هذه التفسيرات.. فلا تجد...

إلا أنه الضعف والإنهزام.. ولا شيء غير ذلك.

هذا ولأهمية الموضوع أعتذر عن قصور التناول، وحتى لا يبلغ بي الشطط حد الإيلام لمن استعبدته (السيجارة) التي كانت له أمة فصار لها عبداً وهي الحقيقة المؤسفة التي يؤكدها واقع حال المدخنين





همسة

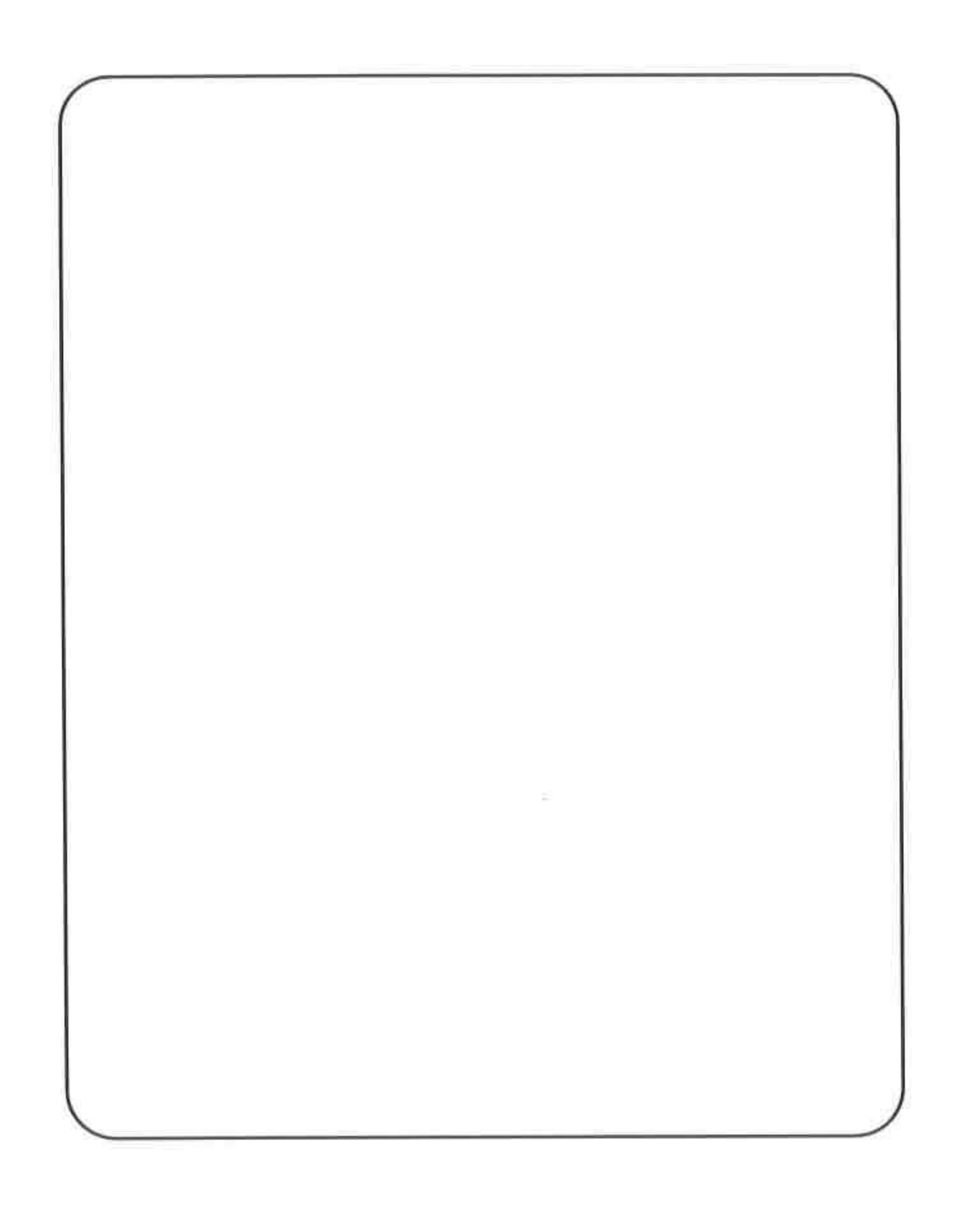
همسة



إنك عزيزي القاريء بحكم علاقتك الطيبة بالآخرين قد تلقيت يوماً رسالة أو هدية أو كتاباً من أحدهم، أو دعوة لحضور إحدى المناسبات، وأنك بالمقابل وبدافع الشكر والامتنان والاعتراف منك بالجميل قد سارعت باشعاره بطريقة أو بأخرى بما يفيد تسلمك إياها ليدرك مدى اهتمامك به وتقديرك له، ووعيك بما تفرضه عليك آداب السلوك الاجتماعي وموجباب اللباقة مع الآخرين في مثل هذه الحالات والمناسبات.

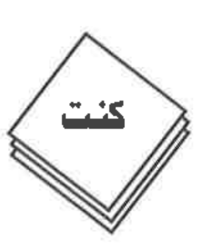
ولكن – للأسف الشديد – فإن بعضهم لا يدرك هذا الأمر ولا يقيم وزناً لمثل هذه الاعتبارات المهمة التي تخلق أثراً نفسياً مستحباً لدى الطرف الآخر وتؤكد له حسن ظنه بالآخرين وثقته بهم، كما تساهم بدورها أيضاً في استمرار الصلة ودوام البذل والعطاء مما يكون سبباً في تقوية وشائج المحبة والمودة والقربى بين أفراد المجتمع الواحد.





من أحاديث المجالس

من أحاديث المجالس



مدعواً لمناسبة زواج بمنزل أحد الاصدقاء وفي مثل هذه اللقاءات يدار شريط الكلام والخوض في مواضيع شتى لا رابط بينها ولا صلة، تارة تشرق وأخرى تغرب.. يختلط الجد فيها بالهزل ويتسع المجال ويفسح المكان لمن يهرف بما لا يعرف.

وبينما كنت أُتابع ما يدور حولي باهتمام اذ بأحدهم وعلى غير توقع مني يسألني عن مفهومي للصلاة.. لا ظناً منه انني حديث عهد بالإسلام ولكن ربما ليجعل منه موضوع نقاش إعتقد فائدته.

ومهما كان دافعه إلى ذلك وجدتني أقول له دون تردد وببديهة لا تكلف فيها ولا صعوبة في استحضار الجواب:

قلت: إن الصلاة كما تعلم أمر وتكليف الهي للمسلم إذ قال عز وجل في كتابه الكريم ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾.. سورة النساء (الآية ١٠٣) ومن أهم أهدافها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. ثم انها تزيل الفوارق وتساوي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم.

فالغني والفقير، والأمير والمأمور، كلهم يقفون أمام الله في صف واحد، يؤدون عملاً واحداً، بلا أدنى تمييز.. كما أنها تهذب الأخلاق، وتطهر النفوس، وتقوي الأجسام، وتعلم الصبر، أو كما قيل: لو لم تكن رأس العبادات.. لعدت من صالح العادات، رياضة أبدان، وطهارة أردان، وتهذيب وجدان.

قال: أحسنت، ولا مزيد على ما قلت. لكن ما قولك بمن يعبث بها ولا يعطيها حقها؟

قلت: لا غرابة في ذلك، فنحن في دنيا الامتحان.. قال إني أدرك ذلك: لكن ما تقول بالتاجر مثلا الذي تراه يحرص على أداء الصلاة مع الجماعة في وقتها متوشحاً رداء الخشوع والمسكنة والخضوع؛ لكنه ما أن يأخذ بمزاولة تجارته حتى يلقي بكل ذلك جانباً، فتراه شخصا آخر يكشر عن أنياب الطمع والجشع، والغش والتدليس. فأخبرني بربك مثل هذا عما نهته صلاته؟؟

ومثله رب الأسرة في بيته، والموظف في مكتبه، وكل إنسان مكلف في حدود مسئوليته، فالصلاة ليست كما تعلم مظهراً اجتماعياً، ولا واجباً يُؤَدي بصورة تلقائية وحركة آلية، بل هي أسمى من ذلك.

هي مدرسة لتعليم السلوك القويم، وهي معهد لتدريب النفس على ممارسة ما هو نافع للفرد، كما هو نافع للمجتمع.

وفي الأثر(الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين) غير أن الصلاة التي لا تنهى الإنسان عما يخالف الدين، تكاد تساوي صاحبها بمن تركها.

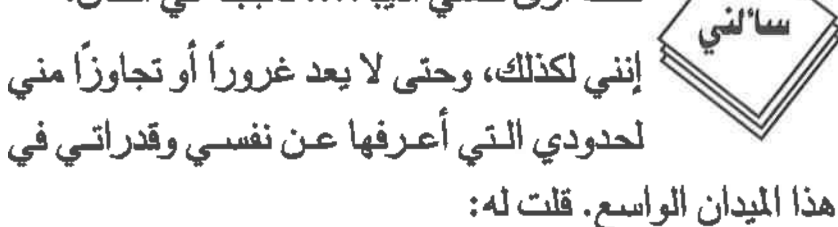
وإذا كانت الصلاة كما جاء في الأثر، هي عماد الدين، فإن الإنسان الذي يؤديها بإخلاص وإدراك لمعانيها، ترى ذلك ظاهراً على سلوكياته الشخصية، فلا هو يكذب ولا يتكاسل عن أداء عمله ولا يتردد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ضارباً المثل بنفسه واسرته ومؤسسته، بل وفي علاقاته الانسانية التي تبعده عن مواطن الزلل والشبهة.

وهنا قلت لمحدثي: الحق ما ذكرت، فقد كان لحديثك حلاوة وطلاوة. قال: أرجو ذلك.

قلت: كنت أطمع بالمزيد، لو لم ينفض المجلس، ويأخذ المدعوون بمغادرة المكان. قال: لكل أجل كتاب، ولكل بداية نهاية قلت، وأنا أمد يدي إليه مودعا: بارك الله فيك، وزادنا من علمك، لقد أصبت الباطل بسهم قاتل.



سؤال وجواب



أحدهم بعد أن اطلع على شيء مما كتبت... ان كنت أرى نفسي أديبًا؟... فأجبته في الحال: إنني لكذلك، وحتى لا يعد غرورًا أو تجاوزًا مني لحدودي التي أعرفها عن نفسي وقدراتي في هذا الميدان الواسع. قلت له:

إنني على صلة واتصال بحرفة الأدب.. لكن بحجم متواضع وبمساحة محدودة.

إنني أتناول الكتاب وأمسك القلم لأعبر عن رغبة وأسقط مفهومًا في ذهن القاريء، وقد أصطلح على أن كل من أنتج فكرًا نافعًا وعبر عنه بصدق وموضوعية، سمي أديبًا مع تفاوت الدرجات وتباين المسافات والأبعاد بين أديب وآخر تبعًا لعمر العلاقة بحرفة الأدب. واستنادًا إلى القدرة على التغيير وعمق التفكير.

فكيف تراني على ضوء ما قرأت.. وأين أنا من ذلك؟؟



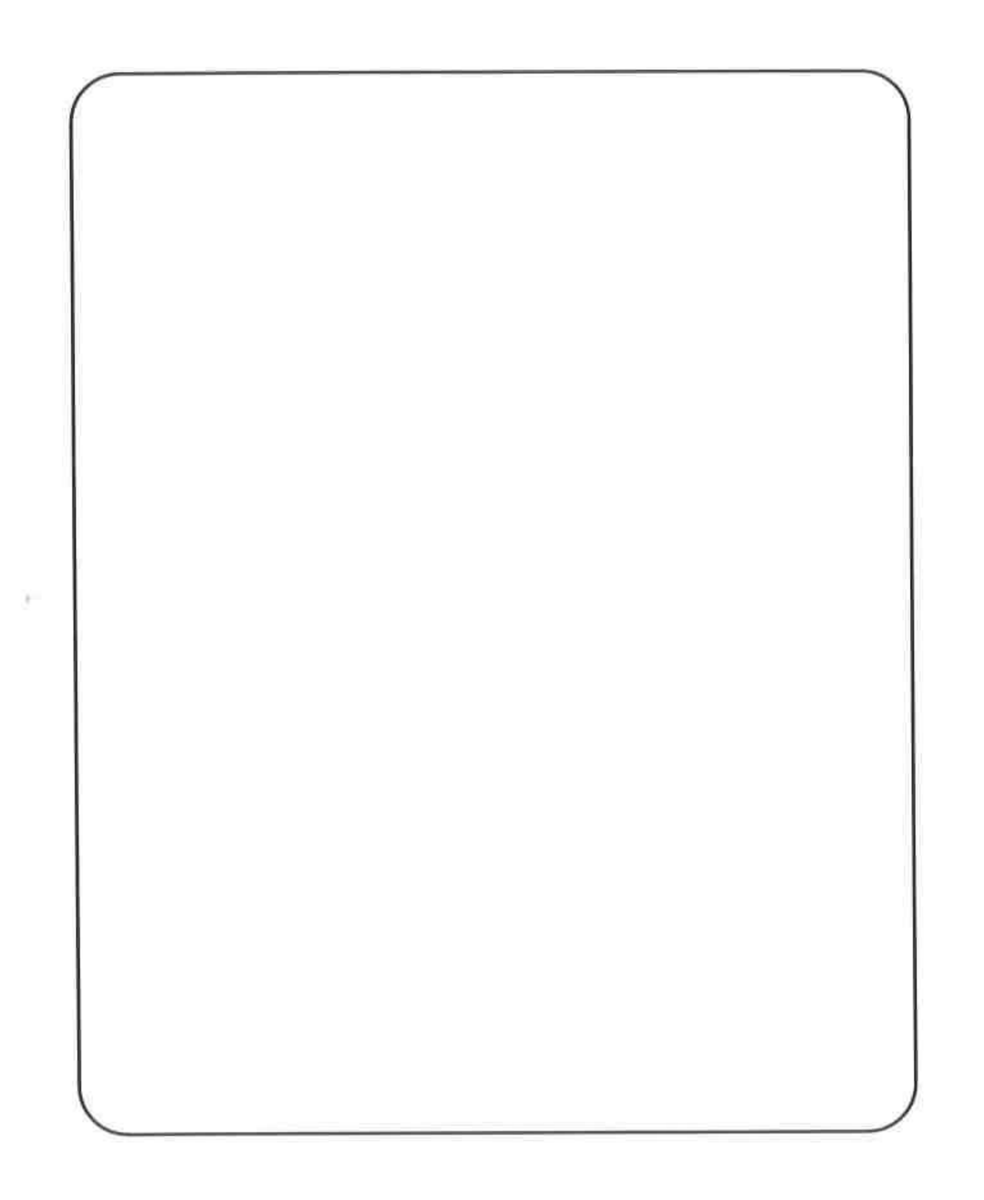
تساؤل

أن يحبك أناس أو يكرهوك فهذا قد يكون رد فعل طبيعي لمشاعرك نحوهم، أما أن يكرهوك ويحقدوا عليك ويحسدوك لا لسبب واضح.. إلا لأنك قد أصبت شيئاً من النجاح في حياتك وواصلت السير بعد أن توقفوا هم في عرض الطريق، فهذا لعمري أمر يدعو حقاً للعجب ويبعث على الاستغراب والتساؤل؟!

فالنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(متفق عليه).

فأين الإيمان من هذا!!





في الطريق إلى الكلية الحربية

في الطريق إلى الكلية الحربية[(١)]

كان الطالب أحمد مستغرقاً في أفكاره، وهو يجلس بين الطلبة الآخرين في الحافلة المعدة لنقلهم إلى الكلية الحربية بعد إعلان قبولهم فيها.. ذلك القبول الذي لم يحزه ولم يصل إليه إلا بعد عناء شديد، ومكابدة ليس عليها من مزيد.. وبعد مشاق مضنية، وترداد متكرر على مقر اللجنة العسكرية المكلفة باختيار المرشحين، وبعد أن خالجه شعور باليأس، واكتنفه احساس بالقنوط، وكاد أن يقف في منتصف الطريق نتيجة لذلك الصراع النفسي العنيف، الذي يتعرض له ويكابده كل امرئ يدخل في نفس الاتجاه، ناهيك عن شعوره بمواجهة احتمال الإخفاق وتوقع الفشل في تحقيق ما هو مقبل عليه في أية لحظة، وتحت أي ظرف.

(١) في عام ١٤١٢هـ التحق اثنان من أبنائي هما خالد وعبدالله بكلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض وماسمعته منهما حينذاك من وصف لما مرا به من صعوبات في أثناء مراحل التسجيل أوحي إلي بهذا الموضوع الذي سبق نشره في مجلتي الكلية والدفاع العدد ٨٨ربيع الآخر ١٤١٣هـ - مستعيرا اسم أخيهما أحمد.

(*) تم تخرجهما منها بتاريخ ١٤١٦/٢/١٧هـ برتبة ملازم.

كل ذلك ينبغي أن يكون في الحسبان، قبل أن يصل إلى الهدف المبتغى والأمل المنشود، إذ ليس هناك طريق مفروش بالورود، ولا مكلل بالزهور، أمام تحقيق الطموحات الكبيرة، والوصول إلى الأماني المبتغاة.. لذلك لم يكد (أحمد) يأخذ مكانه مع عدد كبير من الطلبة ممن حالفهم الحظ مثله في الحافلة التي أخذت تنهب الأرض نهباً متجهة بهم صوب الكلية الحربية.. حتى مرت بمخيلته كل تلك الأفكار والخواطر التي لا تنم عن راحة نفسية، ولا عن هدوء أعصاب.

وقبل أن يسترد أحمد أنفاسه، أو ينبس ببنت شفه، أو يلقي نظرة على من حوله داخل الحافلة، أو يتفرس في ملامح زميله الجالس على يمينه في المقعد المجاور له.. أخذته الأفكار والهواجس مرة أخرى.. بعيداً بعيداً وقذفت به وراء الآفاق الشاسعة، والمتاهات الواسعة، والأماني الرحبة الحالمة.

وربما كانت في حقيقة أمرها ترجمة متسرعة، وصوراً مشوشة لأحلامه الشابة، وآماله العريضة التي كانت الحافز الأول وراء اندفاعه القوي، وسعيه الحثيث، ورغبته العارمة، بمصاحبة أولئك الصفوة المختارة من الشباب الطموح.. الذين يشاركونه الميول نفسها وهم يعبرون عن الرغبة في الالتحاق

بهذه الكلية أو بإحدى الكليات العسكرية الأخرى..

كيف لا..؟ وهي حلم شباب اليوم، ومحط آمال رجال المستقبل.. ومع أنه قد حالفه الحظ، وصاحبه التوفيق ولله الحمد لو تحقق له بعض ما يريد.. بالانضمام إلى قافلة النخبة الممتازة المتفوقة من المقبولين بالكلية.. والمنتقاة بعناية من بين مئات الطلبة المتقدمين.. إلا أنه ظل جاثماً على مقعده في الحافلة الكبرى دون حراك، وقد كان ابان ذلك أسيراً لأفكاره التي ما برحت تعتمل في ذهنه المتعب المكدود.. والتي صار يقلبها ذات اليمين وذات الشمال، بإهتمام شديد، كمن يرسم خطة حربية معقدة لفتح حصن منيع!! أو يقحم نفسه في خضم معركة حربية فاصلة ومواجهة مصيرية حاسمة، يترتب على نتائجها تحديد موقعه في الحياة.

وهكذا كانت نظرته للموقف الذي هو فيه.. وتقديره لتلك اللحظات الدقيقة من أيام عمره.. أو قُل المعاناة النفسية التي يعايشها.. بأعصاب مشدودة، وتحفز.. ووساوس وشكوك.. وقلق واضطراب.. واطراق ووجوم!!

ولكنه.. نتيجة لحركة غير عادية صادرة من الحافلة،

ربما لتفادي أمر ما أو للولوج في منعطف خطير – استرد فجأة قدرته على التركيز الذهني، والتفكير المتبصر الواعي، بعد أن تخلص من حالة الشرود الذهني التي سيطرت عليه هنيهة من الزمن.. وبعد أن جال بنظره فيمن حوله، وتفحص ببصره كافة زملائه من ركاب الحافلة. شعر وكأنه قد أُفاق لتوه من إغفاءة عميقة!.. وأدرك أنه لا يزال يخطو الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل كما يقول المثل الصيني!، وأنه مقبل على مرحلة اختبار ميداني لا تخلو من بعض الصعوبة والمشقة، وذلك للتحقق من قوة رغبته وصدق عزيمته.. لكنه سيصمد إن شاء الله أمام كل هذه الاختبارات.. وسيجتاز بحوله تعالى جميع العقبات التي قد تعترض طريقه، وسيكون شعاره في مواجهة كل الاحتمالات والتحديات: التنافس.. الطليعة.. التفوق.. الاقدام.. الصدارة.. الأول.. الأول.. الأول!!

وهو يدرك بطبيعة الحال ويعلم علم اليقين.. أن التنافس على المركز الأول.. يتطلب منه الاجتهاد المستمر والعمل الدؤوب، والانكباب على المذاكرة والدراسة والبحث ليل نهار.. ليستطيع الحصول على قصب السبق، ولأن من طلب العلا سهر الليالي!. واضعاً في حسبانه أنه حتى لو تعرض

خلال مرحلة دراسته لبعض النكسات، أو واجه شيئاً من الصعوبات - لاسمح الله - لظرف من الظروف، أو بسبب من الأسباب .. فلا ينبغي أن يذعن للهزيمة، أو يستسلم للضعف والوهن.. فللجواد الأصيل كبوة.. والعالم الجليل لا يخلو من هفوة.. والسيف الصقيل قد تعتريه نبوة!!!. ورحم الله القائل(١):

وما نيلُ المطالبِ بالتّمني
ولكنْ ألقِ دلْوكَ في الدِّلاءِ
تجيء بملئِها يَوْماً ويَوْماً
تجيءُ بِحَمْأةٍ وقليلِ ماءِ

نعم انه يعلم أن المطامح الكبرى، والمطالب الرفيعة، والدرجات العلا.. تنال بالتفاني لا بالأماني.. ولا يمكن الوصول إليها دون سعي وعمل، وكد وجهد، وتعب ونصب وكفاح.. ولو كانت المعالي تنال بالأماني، لكان الأمر كما قيل:

كُلُّ غَادٍ لحاجةٍ يتَمَنَّى
أن يكونَ الغضنْفَرَ الرِّئْبالاَ

ورحم الله شوقي إذ يقول(٢):

(١) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو: (٦٠٥ ـ ٦٨٨). لغوي.
(٢) الشاعر أحمد شوقي.

وما نيلُ المطالب بالتَّمَني
ولكنْ تُؤْخَذُ الدُنيا غِلاَبا

وهكذا صدقت منه النية.. وشحذت منه العزيمة، وشحنت نفسه بقوة معنوية حازمة.. وتبين له أنه كان على خطأ.. عندما استسلم لتلك الأفكار المشوشة القلقة، وسمح لها أن تسرح به بعيداً وتنتزعه من واقعه المحسوس، لتلقي به في متاهات التصور والخيال.

وفي محاولة منه لطرد هذه الأفكار المضطربة والتخلص منها أتى بحركة جسدية مفتعلة جعلت الطالب الجالس إلى جواره، يلتفت إليه في دهشة، كمن أحس بوجوده لأول مرة!.

ما انفك يبادله النظرات الشاردة حينا، والمتفحصة أحياناً، والتي تحكي بمجملها بعض ما كان يختلج في صدر كل منهما من هموم وأفكار، ولم يزيدا على ذلك، فقد اكتفى الاثنان بتبادل النظرات الصامتة، المعبرة عن واقع الحال.. ثم لم يلبث هذا الصمت المطبق، الذي ران على الحافلة فترة أن زال أو كاد، حينما أخذت الأصوات ترتفع شيئاً فشيئًا حتى طغت على صوت محرك الحافلة الصاخب، الذي كان ينبعث

من مؤخرتها معبراً عن معاناتها الشديدة هي الأخرى.

ولتبدل الحال المفاجئ داخل الحافلة، خيل لقائدها بعد أن دبت بها الحياة، وملأت جنباتها الأصوات، كأن القوم كانوا في سبات عميق ينعمون بأحلام السعادة، فاستيقظوا منه فجأة! لكنها كانت في الحقيقة أحوال نفسية تعتري في العادة كل مقبل على تجربة جديدة طرأت على حياته، أو لعلها الرهبة لدى بعضهم في مواجهة احتمالات الاخفاق في مقارعة الصعاب التي هي إحدى سمات الحياة العسكرية كما يتصورونها، إنه الهاجس النفسي الذي يوقظ الإحساس وينبه الشعور بأهمية الموقف.

وهكذا انهالت عليه الخواطر من كل حدب وصوب، وأحاطت به الخيالات من كل جانب.. وعلى الرغم من أنها كانت شكوكاً وأوهاماً، خصوصاً أنه رغم ما استجد على جو الحافلة من انفراج وانفتاح .. لم يلق استجابة فورية من لدن جاره في الحافلة لبدء الحديث معه.. وربما كان ذلك لانشغاله هو الآخر بهمومه الخاصة، وبما سيطر عليه من أفكار، وهواجس. كيف لا وهما يعيشان الظروف والأحوال ذاتها.. هذا ما حدث به نفسه.. وهو يقاوم هذه الحالة الانعزالية التي

كانت تفصله عن الآخرين. انه الفراغ النفسي، الذي جعله يحلق بفكره بعيداً، حتى خيل إليه أنه قد عاش دهراً طويلاً في التفكير فيما هو مقبل عليه!!.

ولعل مرد هذا الشعور وتلك التصورات قد واتاه، لمعلوماته السابقة عن الحياة العسكرية والتي كونت لديه خلفية لابأس بها. فقد استقاها من أخيه الأكبر الذي يعمل ضابطاً باحد فروع القوات المسلحة، والتي طالما حدثه عنها فكانت وراء انسياقه لهذه التصورات واستجابته الفورية لها وانصياعه لمؤثراتها. لكن توقف الحافلة المفاجئ أمام المدخل الرئيسي للكلية الحربية، أعاد إليه انتباهه، وأيقظ فكره ووعيه، فتململ في مقعده الوثير، وتنحنح بصوت عال ليؤكد للأخرين أنه ما برح موجوداً، وأنه مازال على قيد الحياة.

وها هو ذا يتثاءب ويتمطى، ثم لا يلبث أن يطرد عن نفسه شبح الكسل والخمول، فيستجمع أطرافه، ويمد عنقه إلى الأعلى بعد أن إعتدل في جلوسه ثم أخذ يجيل بصره في المساحات الصحراوية الجرداء التي تحيط بالكلية كحرم لها.

لم يندهش كثيراً لهذا الواقع المشاهد أمامه، بيد أنه ارتاح

كثيراً لموقع الكلية الاستراتيجي الحصين الذي يطل على وادي الجبيلة الأخضر، فصاحبنا لديه ميول أدبية، وملكة انشائية، وموهبة شعرية، وخيال خصب، يمكنه من استجلاء مصادر الجمال، ومراتع الروعة والكمال، ينتزع الصور الجمالية مما يحيط حوله انتزاعا، ويقتبسها من بيئته ومحيطه وان كانت صخوراً صماء، أو سهولاً جرداء.

ومما زاد من روعة المكان، ومحاسن الجمال فيه عندما اقتربت الحافلة من المنطقة المحيطة بمنشآت الكلية حيث برزت في إطار جميل يسر الناظرين.. أشجار حدائقها الغناء، ومروجها الخضراء، ونسيمها العليل الذي يفوح بأريج الياسمين، وعطر الرياحين.. ومما زاد المنظر البهيج روعة وجمالاً تمايل الأشجار الباسقة، وترنح الأغصان اليانعة.

وتحت وطأة هذا الإحساس المريح تصور صاحبنا بعين خياله أن هذه المنطقة الجميلة.. لابد أن تكون مرتعاً للعصافير ومتنزها للبلابل التي تصدح فوق ذراها الشماء، وتغرد فوق غصونها اليمامة الورقاء.. حيث تكون بمجموعها معزوفة متناسقة الأنغام، بديعة الإيقاع والألحان.. لا يشوبها تنافر ولا

شذوذ عن المألوف، ولا يعتريها خروج عما هو معروف.

هكذا صور لنا البطل هذه اللقطات بعدسة خيال، وعند اقتراب الحافلة من هدفها المنشود بات صاحبنا (أحمد) أكثر استعداداً ونشاطاً لمواجهة الموقف الميداني الأول بجميع افرازاته وكافة احتمالاته المتوقعة والمفاجئة التي قد تنتج عنه والمتعلقة بما يعرف بفترة الترويض النفسي التي يمارسها المدربون داخل الكلية مع الطلاب الجدد.

وها هو الآن.. وقبل أن تتوقف الحافلة من مشوارها الطويل عند نقطة النهاية.. يسترجع في ذاكرته بعض ما قاله أخوه الأكبر – الذي يكن له المحبة والمودة، والاكبار والتقدير – وهو يودعه قبل أن تطأ قدمه سلم الحافلة العسكرية في طريقه إلى سلم المجد، ومصنع الرجال (الكلية الحربية).. فمن ضمن وصايا أخيه التي مازالت ترن في أذنيه، ويجد لها في نفسه صدى عميقاً يبعث في نفسه راحة نفسية، وتقبلا رحبا لتلك الوصايا الغالية قوله له: إعلم يا أخي حفظك الله ورعاك أنك ان لم تتسلح بالوعي المتفتح والادراك التام للمعاني التربوية المعمول بها في الكلية الحربية، وما يمكن أن تواجهه في عامك

الأول، ومايعقبه من أعوام أخرى، من أمور وتصرفات قد تبدو غريبة عليك، لأنك لم تمارسها ولم تتعود عليها من قبل، حيث تقتضيها مهمة الكلية لغرس الروح العسكرية الحازمة في نفس الطالب المستجد.. وتدربه على الانضباط التام، والنظام الدقيق، والطاعة الواعية لأولي الأمر، وتنفيذ الأوامر والتعليمات الصادرة إليه بلا توان ولا تردد، وان لم تتمتع بروح التحدي والمنافسة لمواجهة الصعاب وما قد يعترض سبيلك من عقبات كأداء، والعمل الجاد للتغلب عليها وتذليلها وتجاوزها فستمنى حتما لاسمح الله بالفشل الذريع، والاخفاق السريع، كما أوصاه - جزاه الله خيراً - بالتحلي بالصبر والحلم وسعة الصدر، مستشهداً بقول محمد بن بشير:

ان الأمور اذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبة
اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

ثم مازال أخوه الأكبر يوصيه بالاجتهاد والصبر مستشهداً بهذه الأبيات:

اصبر على مضض الادلاج في السحر
وفي الروح للطاعات في البكر
اني رأيت - وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤمله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

كما أوصاه من وحي تجاريه بالجد والمثابرة والتصميم على بلوغ الهدف المنشود، والوصول إلى الغاية المرجوة.. وهي أن يصبح ضابطاً كبيراً في القوات المسلحة، ترمقه العيون بالتقدير والاكبار، ويشار إليه بالبنان.

ان هذا لعمري هو الحلم الكبير الذي طالما راوده وداعب خياله في اليقظة والمنام، والذي لن يكون تحقيقه - بطبيعة الحال - بالأمر السهل الميسور، فطريق المجد والسؤدد ما كان

ممهداً في يوم من الأيام ولا محفوفاً بالياسمين ولامفروشاً بالورود والرياحين، وانما شأن بلوغه، وسبيل الوصول إليه، والطريق إلى قطف ثماره المثابرة والاجتهاد، والعزم، والحزم والكد، والكدح، والعرق والجهد، المثمر المفيد، والسهر الطويل.

هذا هو السبيل إلى بلوغ المجد والسؤدد، ولا سبيل غيره.. وقد صدق الذي يقول:

وما لحق الحاجات مثل مثابر
ولا عاق منها النجاح مثل تواني

وقول الآخر:

وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى
من القوم إلا من أعد وشمرا

وقول غيره في المفرط المتقاعس عن الجد والاجتهاد:

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر

أما سبيل الفشل والاخفاق وخمول الذكر في الحياة.. فهو سبيل هين ميسور.. وهو النتيجة الحتمية، والشهادة

المضمونة المؤكدة لكل متخاذل متقاعس خوار، ضعيف العزم والارادة، واهي النفس، مضطرب الخطا.. لا يقدم إلا ليحجم.. ولا يكاد يبدأ حتى يتقهقر.. ينظر إلى الأمام في توجس وخشية وريبة، وفي تخوف وهلع ورهبة، وكأن طريقه محفوفة بالمخاطر، مملوءة بالسباع الكاسرة، والوحوش المفترسة، ثم مايلبث أن تنتابه قشعريرة، تصطك لها أسنانه، وترتعد لها فرائصه فينظر إلى الخلف في فزع يتلمس طريق العودة، طريق المهرب، طريق الانتكاس والانهزام.. حيث يسلمه هذا الطريق إلى سيرته الأولى خاملا خالي الوفاض، منطوياً على نفسه، معتزلاً عن الناس، منزويا عن العيون، لا يأبه له أحد، ولا يهتم به انسان.

دارت كل هذه الوصايا الثمينة النفيسة، المختزنة في عقله الباطن بسرعة مذهلة، وأخذ يقلبها ذات اليمين وذات الشمال، ثم مابرح أن شعر بشيء من الهدوء والطمأنينة وارتياح البال، كما لوكان يسمعها لأول مرة من أخيه الأكبر، وذلك لوقعها الطيب في نفسه، ولتأثره الشديد بشخصية أخيه القوية الواثقة التي تحتذى، فقد شحنته هذه الوصايا البليغة النافعة، بطاقة معنوية عارمة، وحيوية مشبوبة متوقدة، وفيما هو في استغراقه

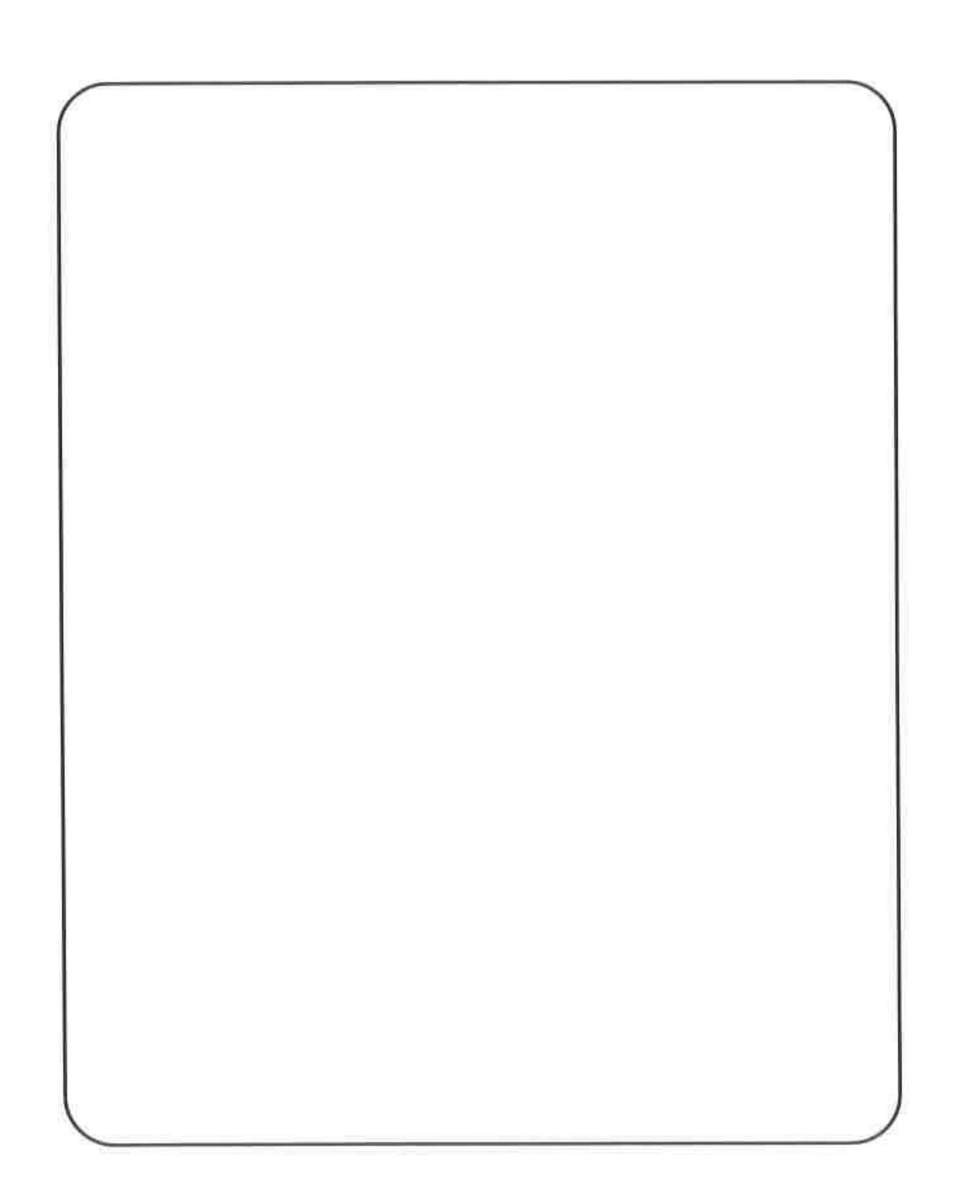
هذا إذ بالحافلة تتوقف عند نقطة النهاية، وهاهو ذا يقفز منها إلى الأرض بخفة كأنه يوشك أن يطير! وهو اذ ذاك يبدو كأقوى ما يكون عليه الشاب الشجاع المفتول الساعدين المتسلح بالإيمان بالله وبقدسية هذا المسلك الذي انخرط فيه.

وشعر (أحمد) كما لم يشعر من قبل، بالرغبة الجارفة والحماس الشديد لبدء مشوار الحياة، انطلاقاً من هنا، من عتبات الكلية الحربية. وأخذ يفرك كفيه ببعضهما بشدة تعبيراً عن الرضا وتحفزاً للانطلاق من نقطة البداية. انه يصطف مع رفاقه الأبرار، يقف بينهم كتفاً إلى كتف. وبقدمين ثابتتين، وثقة بالنفس لا تهتز ولا تتزعزع، وهو اذ ذاك منتصب القامة، مرفوع الهامة، ممشوق القوام، تغمر نفسه مشاعر الغبطة، وأحاسيس بالاعتزاز لكونه وجد نفسه أخيرًا بصحبة مجموعة من الفتيان الأبرار، والشباب الأخيار، في أحد مصانع الرجال، وفي عرين الأبطال، ليشاركوا من سبقهم من أبناء هذا الشعب الطيب، في ميدان العزة والكرامة، وساحة المجد والشرف، واختبار الذات في المواقف الصعبة، ومواجهة الشدائد والأهوال، اذ استدعى الأمر ذلك - لاسمح الله - وأخيرًا هاهو ذا الطالب (أحمد) يتلقى أمرًا من أحد الضباط

المعنيين باستقبال الطلاب المستجدين مشيراً إليه بيده.. وبصوت لايخلو من خشونة مفتعلة، ونبرة جافية قاسية - يتطلبها الموقف، ويستدعيها الحزم - بأن ينضم إلى احدى المجموعات، بعد أن تم توزيعهم إلى فصائل. فينفذ الأمر بطواعية وانقياد وانضباط.

وهكذا يختفي صاحبنا عن الأنظار إلى حين نلقاه بعد خمسة وأربعين يوماً، وقد تغيرت هيئته، واسمرت سحنته، وتورمت قدماه، وصهرته الجندية ببوتقتها، فأصبح أكثر خفة ورشاقة، وهو يختال بثقة واعتزاز بملابسه العسكرية الأنيقة، المخصصة للخروج من الكلية بعد انقضاء فترة الاستجداد، مالم يرتكب من المخالفات ما يحول دون ذلك لا سمح الله.





قصتي مع مادة الرسم

قصتي مع مادة الرسم



أحدهم لآخر إن خطي أحسن من خطك، فرد عليه سيء الخط قائلاً هذا صحيح لكن حظي أحسن من حظك ولأنه يدرك هذا فقد لزم الصمت.

ومع اقتناعي اليوم بتلك المقوله وأن الحظ يلعب دوراً فاعلاً في حياة الإنسان إلا أنني لم أمر بحالة تؤكد لي هذا قبل قصتي مع مادة الرسم التي سأوجزها فيما يلي:-

منذ نعومة أظافري وأنا أعشق الرسم وأتمنى أن أصبح رساماً.. ولأن حسن الخط وجماله مرتبط ارتباطاً حسياً وفنياً بموهبة الرسم فقد أكد لي سوء خطي ورداءته استحالة ان أكون كذلك.

آلمتني هذه الحقيقة بعد ان اكتشفتها في بداية المراحل الدراسية الأولى إذ لم تكن تخلو صفحة من صفحات دفتر الإملاء من الملاحظة التالية «**حاول أن تحسن خطك، خطك**

رديء تصعب قراءته» وظل خطي كما هو رديئاً إلى اليوم وحال دون تعلمي فن الرسم أو حتى مجرد التفكير في ذلك.. إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تذكرت فيه ذلك المثل الذي يقول (جاك الموت ياتارك الصلاة)، وذلك عندما تقدمت عام ١٣٨٠هـ لامتحان الشهادة الثانوية العامة بالمعهد العلمي بالرياض، وكان الرسم مادة رئيسية لابد من النجاح فيها حيث أسقط بيدي وانتابتني الحيرة، لكني صممت على التحدي ومواجهة احتمال الفشل بالبحث عن أسباب النجاح.

ولتجاوز هذه المعضلة إستعنت بمدرس متخصص في تعليم الرسم بإحدى المدارس الأهلية، أخذ يتردد علي في المنزل مدة ثلاثة شهور بذل خلالها جهداً مضاعفاً دون أن يحقق النتيجة المرجوة والمستوى الذي يأمله ويسعى إليه، فكان ينظر إلي نظرة إشفاق بعد ان اكتشف انني لا أستجيب عقلياً لنظرياته الفنية المعقدة فيما يتعلق بمزج الألوان وتحديد المسافات والأبعاد وانعكاس الظل ونقاط البداية.. الخ، اصطلاحات فنية لم أفهمها لذلك اختصر المدة ليعود إلى طلابه النابهين.

وجاء يوم الامتحان حيث يكرم المرء أو يهان، كما يقال للتخويف وشحذ الهممّ، فحملت معيّ حقيبة مملؤة بالأقلام الجافة الملونه والأصباغ السائله والريش اللازمة.. إستعداداً كاملاً كما لو كنت سأدخل مسابقة جائزة أحسن لوحة التي يعلن عنها سنوياً في مدينة باريس عاصمة الفن والصخب والضياع.

وفي مدخل قاعة الامتحان استوقفني أحد المشرفين وبعد أن تحقق من محتويات الحقيبة سمح بها فحملتها معي داخل القاعة وانا منتصب القامة مرفوع الهامة ناظراً إلى أولئك الطلاب المساكين الذين لم يكن في حوزتهم سوى عدد قليل من الأقلام رخيصة الثمن.. نظرة عطف عليهم وحزن من أجلهم ولسان حالي يقول مساكين هؤلاء ألم يعلموا أن الامداد في الحرب هو مايعزز احتمال النجاح فيها وكسبها، وبينما كنت أحدث نفسي بمثل هذا بعد أن أخذت مقعدي اذا بالمراقب يسلمني ورقة الأسئلة، وهو يحذرني من عاقبة الغش ومحاولة الخداع، مع أن المادة لا تحتمل شيئاً من ذلك فليست النتيجة أرقاماً أو بضع كلمات يمكن التقاطها عن بعد، وانما هي فن يدوي مطلوب فيه المهارة والاتقان.

وبيد مرتعشة بسطت ورقة الأسئلة أمامي، فكان فيها سؤال واحد فقط هذا نصه:-

(في موسم الحج والعمرة تزدحم عادة شوارع مكة المكرمة والمدينة المنورة بالمعتمرين والحجاج، واسواقهما بالبضائع والمعروضات، ارسم هذا مستخدماً الألوان اللازمة؟).

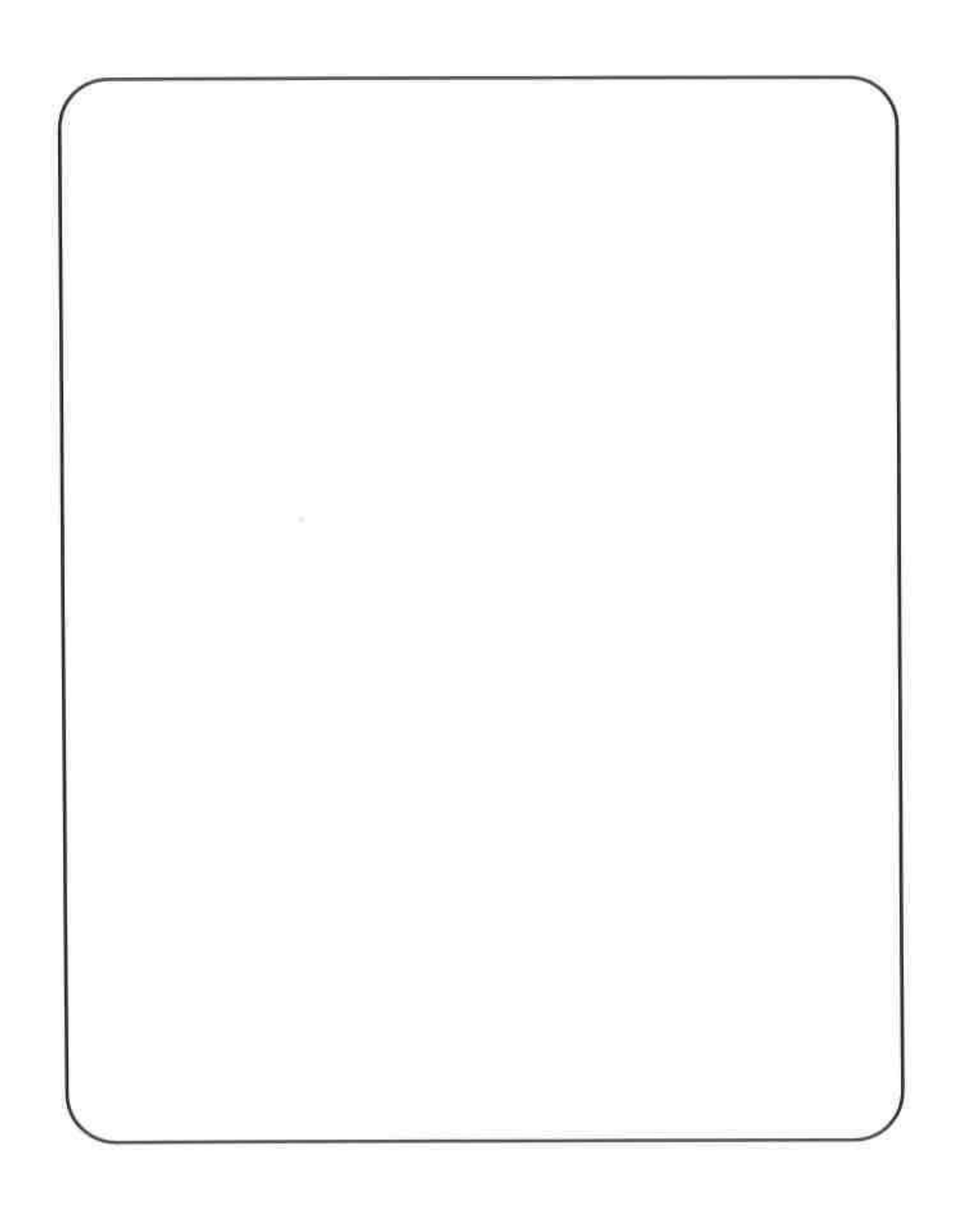
وقبل أن أشمر عن ساعدي وابدأ التفكير بتكوين عناصر الفكرة العامه للوحة لاحظت بأن ورقة السؤال قد ذيلت بالملاحظة التالية: **(مع عدم رسم ذوات الأرواح).**

وما إن قرأت هذه الملاحظة حتى تنفست الصعداء وشعرت بالارتياح فقررت أن يكون إسم اللوحة **(المدينة المهجورة).** رسمت شارعاً واسعاً يتوسطه رصيف مزروع باشجار النخيل الباسقة، وسيارات تقف في منتصف الشارع منها المقبل ومنها المدبر، ومتاجر على جانبي الشارع مفتوحة الأبواب تكتظ بمختلف أنواع البضائع من أقمشة وفواكه ونحو ذلك، لكن لا وجود لسائقين أو باعة.. مستخدماً كل قدراتي

مستهلكاً كل الأصباغ التي في حوزتي، لكن كم كانت الصدمة شديدة عليّ عندما أعلنت النتيجة النهائية واذا بي ناجح في جميع المواد بدرجة جيد ماعدا مادة الرسم فقد كانت النتيجة ثمان درجات من عشرين وهذا يعني الرسوب ومع ذلك فقد اعتبرت ناجحاً فيها ربما بسبب تلك الملاحظة التي اعتبرتها اللجنة ومدرس المادة استدراكاً أخل بموضوعية السؤال والغاء الهدف الفني منه.. وبعد

أفلا يعتبر هذا عامل حظ ساعد على النجاح؟





الشيء بالشيء يذكـر

الشيء بالشيء يذكر

قص

عليّ أحد الزملاء وقائع حادث مروري وقع لابنه أثناء قيادته سيارته في أحد شوارع مدينة أبو ظبي حيث تعرض لمضايقة احدى سيارات الأجرة مما اضطره للانحراف عن الطريق والاصطدام بالرصيف بعد أن فقد السيطرة عليها.

وقال: ما أن خرج ابنه من السيارة سالمًا، ولله الحمد، وأخذ يتفقد نفسه والسيارة حتى فوجيء بأحد الأوربيين يقف عنده ليطمئن عليه.

إلى هنا والأمر يبدو طبيعياً في مثل هذه الحالات.. لكن ما أذهله وأثار دهشته واستغرابه وتعجبه.. أن هذا الأوربي سلمه ورقة صغيرة مسجلاً عليها لوحة السيارة التي تسببت في الحادث ونوعها والتي لم يتوقف سائقها، بل زاد من سرعتها هارباً.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر - كما يقال - فقد تذكرت موقفاً مماثلاً لموقف هذا الأوربي.. حدث منذ عشرين عاماً

تقريباً عندما كنت وبعض الزملاء في زيارة رسمية لفرنسا، ولما كانت تلك الزيارة هي زيارتنا الأولى لباريس، فقد اقترح علينا الملحق العسكري بسفارة المملكة العربية السعودية لدى فرنسا - المقدم/ عبدالله الخطاب - آنذاك.. اصطحابنا لمشاهدة احد أبرز المعالم السياحية فيها، وهو (برج ايفل).

فقد حدث أثناء قيام الملحق بايقاف سيارته بين سيارتين أخريين كانت تقفان في الساحة المخصصة أمام البرج.. أن احتكت سيارته باحداهما، وكان هذا على مرأى من سيدة عجوز كانت تسير بالقرب من المكان.

ودون أن تلتفت إلينا أو تقول شيئاً، أخرجت ورقة صغيرة وقلماً من حقيبة يدها وسجلت عليها رقم لوحة سيارة الملحق ووضعتها داخل السيارة الواقفة التي تعرضت للاحتكاك ثم انصرفت تتوكأ على عصاها، وهي لا تلوي على شيء.

أخذنا نراقبها ونحن نتعجب من أمرها حتى اختفت في زحمة الشارع.. وأمام هذا التصرف الغريب والموقف العجيب من تلك السيدة الذي لم نعهد لهما مثيلاً.. تساءلنا كما نتساءل الآن: ترى ما هو الدافع الحقيقي من وراء تصرف

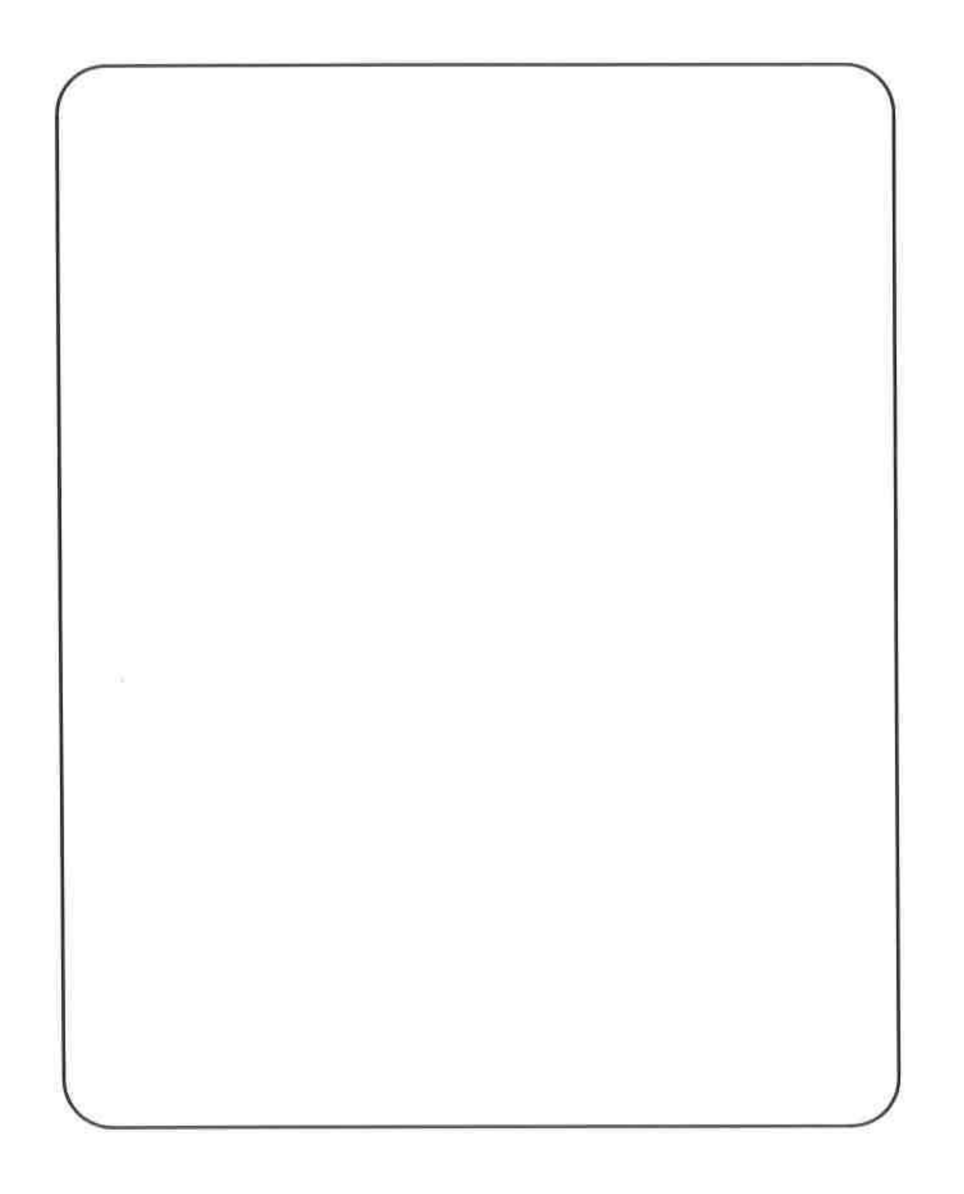
هؤلاء القوم وما هو سبب تفاعلهم الفوري مع مثل هذه المواقف والأحداث الطارئه.

ترى هل هي دوافع انسانية محضة أم أنهم يعدون ذلك واجبًا وطنيًا يمليه عليهم الانتماء.. ويفرض عليهم الاسهام بمعالجة الضرر ما دام قد حدث أمامهم وفي غياب الجهات المختصة بغض النظر عن الزمان والمكان الذي هو فيه كما فعل الأوربي في الحادث الأول؟؟.

أم أن ذلك عائد ياترى للتربية والإحساس بالمسئولية التي تزرع فيهم منذ الصغر أهمية المبادرة للتعامل مع ما يحدث حولهم من مشكلات وأحداث.

أسئلة وتساؤلات ترسم أكثر من علامة تعجب!!!.





بـدون عنــوان

بدون عنوان

كان الوقت عصراً عندما سمعت طرقاً متواصلاً على الباب الخارجي لمنزلي.. لم أفاجأ عندما وجدت أنه (أبو سعد)، وهو صديق قديم جمعتني به ظروف متشابهة في الماضي، ويعد من أولئك الكادحين الذين يطلق عليهم (عصاميون)، فقد تعامل مع الحياة ونازلها بكل عزم وتصميم وهو أعزل من السلاح، لم ينل تعليماً منتظماً، ولم يرث مالاً أو يعثر على كنزٍ، ومع ذلك فقد استطاع وخلال وقت قصير أن يكون أسرة ويبني بيتاً متواضعاً رأى نفسه فيه ملكاً ومالكاً لأكبر القصور وأوسع الدور... ما أن انتهى من تشييده وتأثيثه بما يليق به ويتناسب مع وضعه الاجتماعي وأحواله المادية والأسرية حتى سارع - تبعاً لما جرت عليه العادة في مثل هذه الحالات - إلى دعوة الأقربين من الأهل والمعارف والأصدقاء لمشاركته مناسبة ما يسمى (بالنزالة)، لذلك جاء يدعوني اليها.

قال ان جميع المدعوين قد استجابوا لها الا من كان منهم مريضاً أو على سفر، وواحداً من الأقربين اعتذر بعد أن علم أنه لا يوجد في المنزل هاتف، ولأنه من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال، وشعاره المعروف عنه في الحياة، **ان الشئ الذي يفوت يموت والفرص لا تتكرر في وقت متقارب، وتحقيق النجاح، يكمن في اقتناص السوانح وانتهاز هبوب الرياح.**

لذلك فهو يخشى إن هو جاء ملبياً الدعوة أن تمضي ساعة أو بعض الساعة وهو منقطع عن العالم بسبب عدم وجود هاتف في مكان الدعوة.. وهو في أية لحظة من اللحظات يتوقع أن يتلقى اتصالاً من أحد عملائه يتعلق بنشاطه المالي في بورصة طوكيو أو نيويورك أو غيرهما من تلك الميادين المالية التي يكسب الانسان فيها أو يخسر ربما بكلمة من خلال هاتف، ولذلك تبرز أهمية الوقت الذي يقاس هناك باللحظات وليس بالدقائق أو الساعات، لهذا السبب وليس لغيره اعتذر.

ردد أبو سعد هذه الجملة أكثر من مرة وهو يحاول أن

يخفف من انفعاله وتأثره الواضح على قسمات وجهه لأنه - كما قال: لم يكن يتوقع أن يسمع من قريبه هذا ما سمع رغم علمه بأحوال الناس وفعل المادة بأنفسهم، لكنه كان متفائلاً وحسن النية أكثر مما ينبغي، ولم يكن يخطر له على بال أن تنحدر أخلاق الناس بهذه الصورة البشعة.

وبلهجة لم أتعودها منه قال أبو سعد: عندما ذهبت إلى قريبي هذا في مكتبه لأقدم له الدعوة سألني سؤالاً مباشراً عما اذا كان يوجد هاتف في منزلي، ودون تردد مني أخبرته بأن الحي الذي أسكن فيه حديث الانشاء، وأن ايصال هذه الخدمة الهاتفية إلى منازل كل الراغبين فيها يحتاج بعض الوقت لأسباب إجرائية.

قلت له معتقداً أنه بجاهه وماله ومكانته في المجتمع وعلاقاته بمسئولي الدوائر المعنية سيسعى لعمل شئ يعجل بإيصالها إلى منزلي قبل حلول موعد المناسبة، لكن للأسف الشديد أن شيئاً كهذا لم يخطر له على بال.. بل كان جل همه وإهتمامه ألا تفوت عليه فرصة محتملة قد يترتب على ضياعها فقدان مال، والمال كما قال ويقول دائماً هو عصب

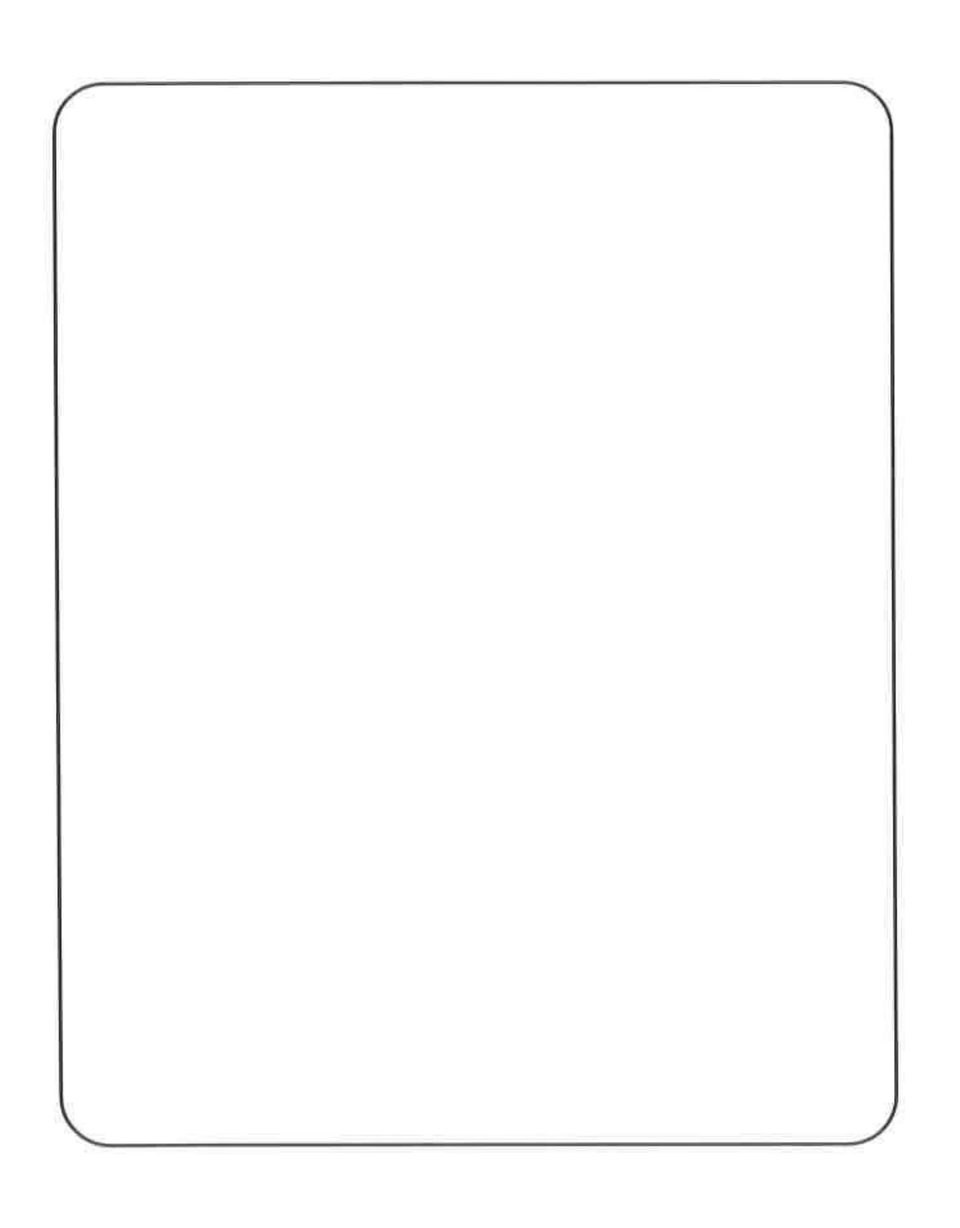
الحياة وانه بالمال وحده يقاس نجاح الانسـان وتقدر قيمته ويكبر حجمه وتتسع مـكانته.. وإنه ليحافظ على تلـك المكانة التي هي مصدر عزته واعتزازه يعتذر عن الحضور.

وأردف أبو سـعد قـائلاً وبـهذه الـكلـمات الـتي تـعبـر عن حقـيقة قنـاعاته وفـلسفتـه المادية في الحـياة، والتـي يتعامـل مع الآخرين علـى أساسها. ودعني قـريبي هذا وهو يعـدني بزيارة منزلي بعد أن يُسمع به رنين جرس الهاتف.

وبعـد صمـت لم يطـل قال أبـو سعـد: ولصعـوبة المـوقف ولشدة مـا أصابني مـن ذهول واشمئزاز.. خـرجت من مكـتبه وأنا لا أكاد أصدق ما سمـعت، لكنها الحقيقة المـرة التي ألجمت لساني إلا مـن الدعاء لله والتضرع الـيه بألاّ يجعل الدنـيا أكبر همنـا، وأن يقنعنا بمـا رزقنا وأن يجنبـنا الامتحان الصـعب بما كسبـنا وأن يهبنـا بالقدر الذي يجـعل المال وسيلـة لا غاية، وأن يكون عـونا لنا عـلى طاعة الـله وصلة الـرحم وتوثيـق أواصر المحبة والإخاء. لا سبباً يضعنا في موقف أناني كهذا، أعوذ بك ربي مـن كل مـا يبـعدنا عـن النـاس ويبعـدهم عـنا، انـك يارب سميع مجيب الدعاء.

بهذا الدعاء الطيب ختم أبو سعد معاناته تلك وتركني مسرعاً وهو يؤكد لي أنه ما زال يأمل في أن يسمع هو رنين جرس الهاتف في منزله قبل حلول موعد المناسبة.. لكنه لا يدري إن كان سيدعو قريبه هذا أم لا.





التقاعـــد

التقاعد



لماذا وجدتني أنساق وراء رغبة جامحة طالما ألحت علي كثيراً حتى قبل أن أتقاعد في أن أكتب شيئاً عن حالة اجتماعية تعد مصدراً لمعاناة نفسية ألقت ولا تزال تلقي بظلالها المعتمة وكابوسها الثقيل على مشاعر طبقة معينة من المجتمع الانساني الكبير منذ أن وضع الانسان لنفسه أنظمة وقوانين حددت له مدة حياته العملية سواء أكان موظفاً أو عاملاً مهنياً ومن هو في حكمهما بما يسمى.. بـ (التقاعد).

هذه الكلمة التي لم أهتد إلى تعريف لغوي مقنع مريح لها، لذلك سيكون تناولها والحديث عنها من منطلق ما تحدثه من دوي وتأثير نفسي على متلقيها، وما يجب عليه عمله بوقت كاف من استعداد لما بعدها ومن تهيئة نفسية لتقبلها في وقتها بصدر رحب وقلب مفتوح وعقل واعٍ لمدلولها، والغاية الانسانية من ورائها على اعتبار أنها أمر واقعي ونهاية طبيعية، ومحطة حتمية لا بد لقطار الحياة الوظيفية من الوصول إليها والتوقف

عندها، ليترجل منه أناس ويصعد إليه آخرون.

وهكذا دواليك ما دام هناك وظائف وموظفون يمد الله في أعمارهم إلى حين الوصول إليها وبلوغ نهايتها، ليصبح حينئذ من بلغها في نظر النظام وفي عدد السنين جديراً بأن يدرج أسمه ضمن قائمة الذين عليهم الخلود إلى الراحة وتمضية ما بقى من عمره في استرجاع ذكريات الماضي والعودة إلى قراءة أوراق الأمس وإعادة ترتيبها من جديد، وقد لايكون الأمر كذلك دائماً.. عند إحالة موظف على التقاعد.

فقد يحدث ذلك قبل أوانه، إما لعجز جسدي طارىء أو لقصور ذهني أو لأسباب أخرى غير هذه وتلك، أو قد يعود ذلك إلى رغبة الموظف نفسه، ولكن مهما اختلفت الأسباب والدوافع والعلل سيظل التقاعد نهاية غير مرغوب فيها، ولن تبتعد كثيراً أو تكون في منأى عن دائرة التأثير النفسي لهذه الكلمة الشديدة الوقع، الثقيلة على اللسان، التي تعنى حسب مفهوم النظام الخاص بها وجوب قعود الموظف عن مزاولة مهام عمله لعدم استطاعته الاستمرار فيه بنفس الاقتدار السابق. الأمر الذي قد يكون له آثار سلبية على القدرة الإنتاجية لوظيفته.

ومع أن هذا الافتراض النظري قد ينطبق على بعض الحالات إلا أن للتقاعد أهدافاً وطنية أخرى مثل افساح المجال لقدرات أخرى ربما تكون أكثر استعداداً وتأهيلاً بقصد تنشيط الدورة الدموية وتجديد تدفق الحيوية في جسم المجتمع ليستمر في النمو والعطاء والازدهار ومسايرة ركب الحياة ودوران عجلة التطور فيها، إلا أنه يبقى مع ادراك هذا الهدف التنموي مفهوما يصعب ادراكه والتفاعل معه ومعايشته لحظة تسلم الأمر، وتلقي الخبر، لكنه لا يلبث أن يصبح مع مرور الأيام أمراً واقعاً يفرض نفسه ويسهل التعود عليه ومعايشته، لكن ليس قبل أن يكون قد تم التصدي أولاً من قبل المتقاعد نفسه لمشكلة الفراغ ومعالجة الخلل النفسي، الذي يعقب عادة ترك الوظيفة مباشرة إذا لم يكن قد أعد لذلك الأمر عدته من قبل كما يفعل بعضهم ليبقي حبل العطاء موصولا والتواجد على مسرح الحياة والاتصال بالمجتمع من خلال ممارسة قدراته الشخصية قائماً.

فالتقاعد مرحلة من مراحل الحياة وليس كما يرى بعضهم.. أنه بداية النهاية، فقد أثبت كثير من المتقاعدين أنه بداية لانطلاقة جديدة في ميدان الحياة الرحب الذي يتسع لكل

شئ ليستمر البذل ويتصل العطاء بدلاً من الانطواء داخل الذات والانغلاق عليها، وكأن حبل الحياة الذي كان يربطه بالمجتمع قد انقطع، مع أن الحياة أرض تنبت تربتها بذرة كل عمل صالح وجهد مفيد.

وقد يتساءل بعضهم قائلاً هل تستوي أحوال الناس في هذا المنعطف الحيوي الهام؟

الجواب بالتأكيد: لا.. صحيح أن هناك ظروفاً حياتية متشابهة يشترك الجميع في مواجهتها لكنها تكون أكثر بروزاً أمام المتقاعد وان اختلفت في حجمها وتفاوتت في أهميتها من شخص إلى آخر، إلا أنها تشكل في مجملها العوامل الأكثر تأثيراً، والأكثر بعثاً للقلق لدى المتقاعد حديثاً.

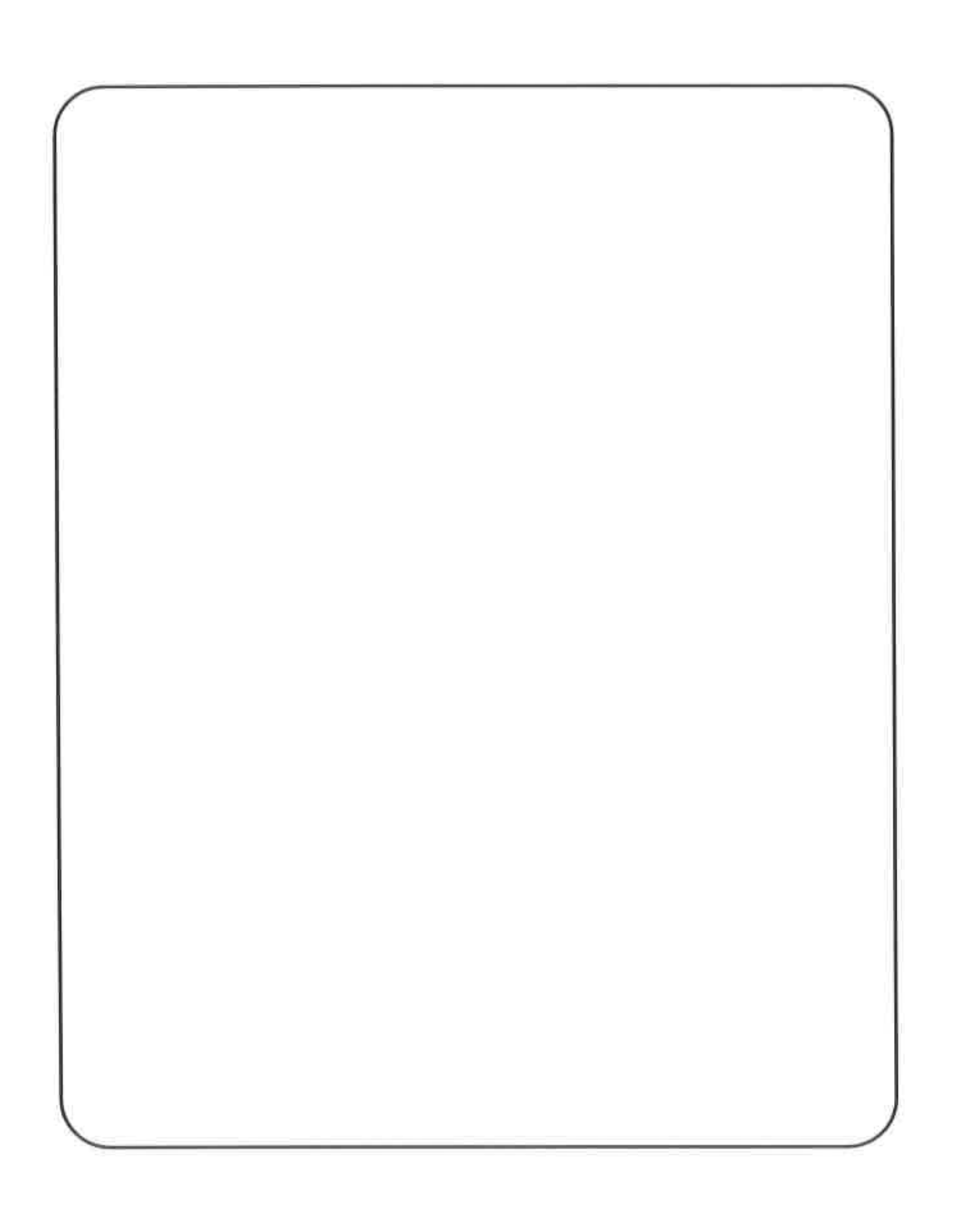
من ذلك على سبيل المثال:

أحوال المتقاعد، الحالة الصحية والاقتصادية والاجتماعية وما يعاني منها أو من بعضها، وعن مدى ما تشكله عليه من ضغوط نفسية وغير هذه وتلك من الافرازات السلبية والمشكلات التي يواجهها الانسان في مختلف مراحل حياته، لكنها عند هذا المنعطف تكون أكثر مدعاة للتفكير والقلق والمعاناة.

ومع ذلك عزيزي المتقاعد كن أكثر حبًا للحياة وتمسكًا بها وإقبالاً عليها، فما الحياة إلا مرآة تعكس نظرتك إليها ووقوفك أمامها، إنها جميلة فابحث عن مواطن الجمال فيها، بالتفاؤل والعزيمة والاصرار على الوقوف من جديد والتصدي للرياح المفاجئة التي لم تكن في الحسبان.. إن أنت ضعفت أمامها واهتززت بفعلها اسودت الدنيا في عينيك وضاقت بك على اتساعها ورحابة آفاقها.

ومع كل ذلك يبقى المتقاعد بما اكتسبه من خبرة طويلة في مجال عمله السابق عضواً فاعلاً في المجتمع يمكن استثماره في مجالات أخرى قد يجد نفسه فيها شريطة أن تكون لديه الامكانيات اللازمة والاستعداد للبدء من جديد.





آخر العنقود والروضة

آخر العنقود والروضة

إنه الإبن

الأصغر أو آخر العنقود كما يقولون ، وجد نفسه منذ أن أصبح قادراً على تغيير مكانه بالزحف أو الحبو، وبعد ذلك بالخطو وهو يتمايل ويرفع يديه لحفظ توازنه، وجد نفسه وهو يعيش بين الكتب والمجلات يقضي جل أوقاته يلهو بها يمزق أغلفتها ويعبث بصفحاتها. وعندما بلغ الحولين من عمره تعرف على مهمة القلم، فبدأ اذا ما وجد كتاباً أو مجلة أو غيرهما يجرب قدراته بطمس معالمها بما يرسمه على صفحاتها من خطوط متقاطعة ودوائر متداخلة تقترب أحياناً من أشكال ذات معنى مع أنها كانت خبط عشواء، حتى أن أحد الأصدقاء عندما رأى أعماله الفنية هذه – ولا أدري... هل كان مازحاً أم جاداً – قال: لو اطلع على رسومات ولدك تلك عالم نفساني لقرأ لك مستقبله وحدد اتجاهاته وميوله الفنية! ولأنني أهوى اقتناء اللوحات المعبرة مع أني لا أجيد محاكاتها لاخفاقي في الرسم وحسن الحظ، فقد تساهلت معه وغضضت الطرف عن

تصرفاته تلك رغم مساوئها وفداحة خسارتها.. ولم يحدث أن نهرته يوماً بسبب عبثه هذا بل أطلقت ليده العنان تشجيعاً له وتثبيتاً لميوله الفنية وتطلعاته المستقبلية.

ولكن موقفي منه تغير عندما وصل الأمر به إلى حد العبث بمقررات اخوانه المدرسية، وبعد أن سمعت منهم ما يعبر عن مدى استيائهم من هذا السلوك وما يمثله من خطأ فادح فشعرت بأن علي عمل شئ يحد من نشاطه هذا ويوقف تطاوله على خصوصيات الآخرين ويحدد مساحة الحرية المعطاة له... فضربته مرة على يده، ومع أنه بكى بكاءً مراً أثار حفيظة والدته وتعاطف اخوانه إلا أنه لم يلبث أن عاد لتكرار اعتداءاته وشن غاراته. لا يفرق بين الأحجام والألوان، المهم عنده أن يثبت وجوده دائماً عملا بالمقولة الفلسفية المشهورة وبتعديل منه (أنا أعبث، اذن أنا موجود).

وأمام هذه النزعة الفطرية، ولحماية حقوق الآخرين والحفاظ عليها، تفتق ذهني عن فكرة اعتقدت صوابها فبادرت بتنفيذها على الفور.. حيث أحضرت من أحد مخازن بيع الأدوية الطبية ملصقاً تحذيرياً كتب عليه (ضعه بعيداً عن

متناول الأطفال) وزينت به أغلفة كتبهم وكل ما يخص إخوانه من كتب وأقلام ونحوها... وبهذا الإجراء المنطقي أخليت ساحته من المسئولية على اعتبار انه لا يدرك مغبة ما يفعل وحملتها للطرف الآخر لاهماله وقلة اهتمامه وعدم أخذه بالأسباب، ومع كل هذه الاحترازات والاجراءات الوقائية لم يمض يوم دون وقوع اعتداءات.. كان يصرخ بعدها نتيجة لموقف احتجاجي وربما لمواجهة ردة فعل لم يكن يتوقعها من أحد المعتدى عليهم.

ومرت الأيام وازداد عمره في حساب الأعوام، وكان لا يزال يعيش بين الكتب والمجلات، لكن بوعي واحترام، ولم يعد يعبث بها وانما يقلب صفحاتها ويمعن النظر فيها وبخاصة الرسومات الهزلية التي لا تخلو صحيفة أو مجلة منها.

وفي بداية العام الدراسي، وكان قد بلغ الخامسة من العمر تقريباً، وبناءً على الحاحه الحقناه باحدى المدارس الأهلية (روضة)... وكم كان سعيداً، ويكاد يطير من الفرح عندما علم بهذا الخبر وأحضرنا له حقيبة وحذاء جديدا وبدلة اختيرت من قبل المدرسة حتى أنه لم ينم تلك الليلة إلا وهو

يتوسد الحقيبة بما فيها من أوراق وأقلام وتأكيداً لرغبته القوية في الذهاب إلى المدرسة سألني قبل ذهابه إلى الفراش: متى تطلع الشمس؟

وزيادة منه في الحرص، نام تلك الليلة بملابس المدرسة... وفي الصباح الباكر استيقظ من تلقاء نفسه وهو يحثنا على الاسراع إلى المدرسة قبل أن تقفل أبوابها.

كانت لديه رغبة جامحة ودافع قوي استبشرنا به وزادنا ثقة واطمئناناً ودعونا الله له بالتوفيق والثبات... وقبل مغادرتنا معه إلى المدرسة تأكدنا من أن الحقيبة محشوة بالدفاتر والأقلام الملونة والأصباغ السائلة وحافظة للأكل وأخرى للماء... وركبنا السيارة نحن الثلاثة. هو وأمه وأنا... وفي المدرسة وقبل التوجه إلى الإدارة، تجولنا في ساحة المدرسة وملاعبها وبين الفصول المختلفة ولكننا ما أن وصلنا إلى مدخل الفصل الذي سيبدأ منه الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل الدراسية، حتى تغير موقفه وتلاشى حماسه فأعلن رفضه دخول الفصل متشبثاً بملابس أمه رافعاً عقيرته بالبكاء رغم محاولاتنا تهدئته وتذكيره بما كان يقوله ليلة أمس

وأن هذه هي المدرسة التي كان يحلم بها. ولكن يبدو أن كلام الليل يمحوه النهار كما يقال.. وذهب كل ذلك أدراج الرياح وأخفقت معه كل المحاولات لإقناعه، فقد صم أذنيه وفتح فاه بالبكاء بعد أن ألقى بالحقيبة جانباً وأخذ يجرب حنجرته وحباله الصوتية بإرسال أصوات مرتفعة منغمة، حتى أنني رغم استيائي من هذا الموقف غير المتوقع منه، سعدت كثيراً عندما اكتشفت أن لديه موهبة أخرى لا تقل أهمية عن موهبة الرسم وهو أنه يملك صوتاً قوياً ذا طبقات عالية يؤهله لأن يكون مؤذناً لن يحتاج لمكبرات صوت في حالة إنقطاع التيار الكهربائي.

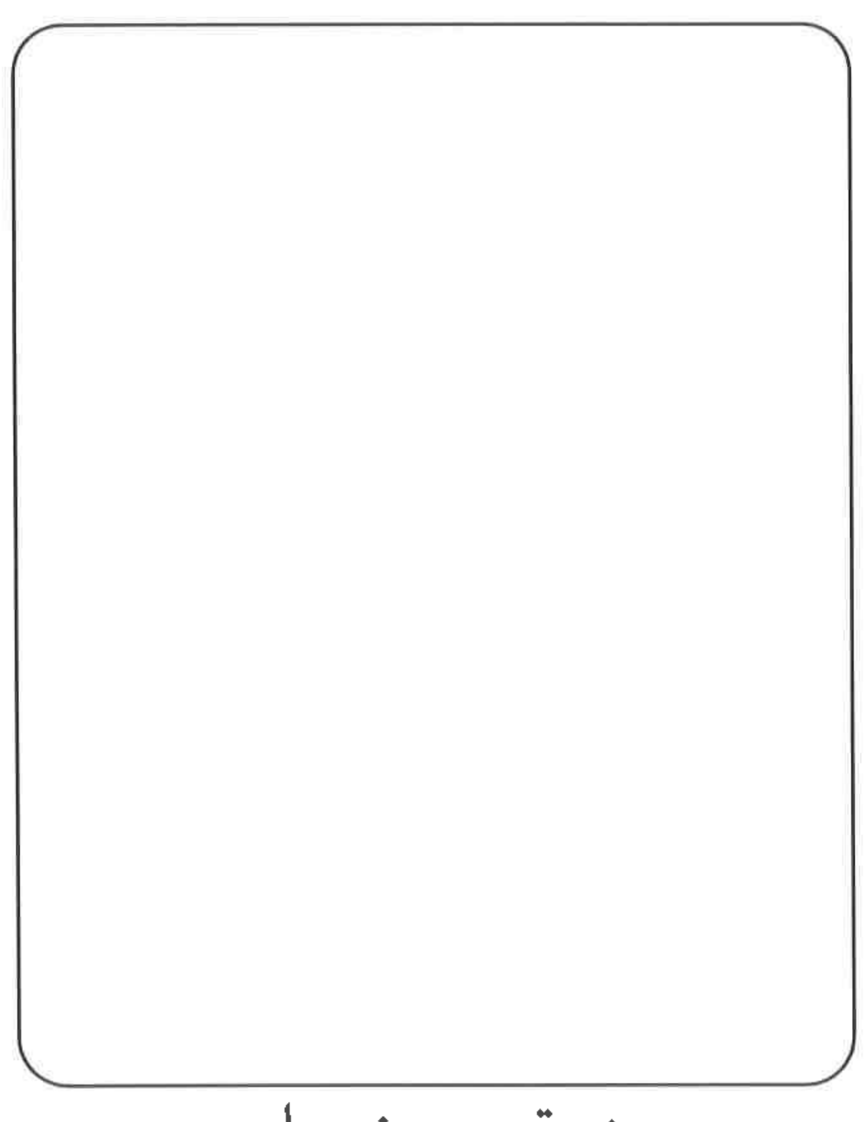
هذا ما كان يدور في ذهني وأنا أراقبه وهو ينضم إلى شلة من التلاميذ الجدد، شكلوا معا جوقة موسيقية صاخبة ببكائهم أثارت انتباه الفصول الأخرى التي ظننت أن أمراً جللا قد حدث.

ولم يكن أمامنا إزاء هذا الموقف المؤسف إلا أن نتركه بين يدي المشرفة على الفصل وهو يصرخ مستنجداً بنا وكأنه صار بين فكي حيوان مفترس... لكننا تركناه مبتعدين عنه خارج المدرسة.

يتكرر الموقف على مدى ثلاثة أيام، وبعدها أخذ يألف المدرسة وينتظر موعد الدراسة فيها.

لا أدري لماذا أوردت هذه القصة، ربما لاعتقادي بأن فيها بعض الفائدة لأولئك الآباء والأمهات الذين سيخوضون هذه التجربة، وأن التراجع في مثل هذه المواقف، لا يساعد على بلوغ الهدف.





جزيرة صير بني ياس
(الجزيرة التي لا يشعر سكانها بالخوف)

دبلوماسية الرحلات

جزيرة صير بني ياس

(الجزيرة التي لا يشعر سكانها بالخوف)

حين

يكون الحديث عن الدبلوماسية تقفز إلى الذهن مصطلحات مرتبطة بها: بروتوكولات، مؤتمرات، دعوات رسمية.. الخ، وعلى ضوء هذا المفهوم يعتقد البعض وربما لديهم اسبابهم ان العلاقة بين السفراء ووزارة خارجية البلد المعتمدين لديه وبين السفراء أنفسهم هي علاقة محكومة بأطر وأنظمة وقوانين، وأن المسافة وقنوات الاتصال بين هؤلاء وأولئك تمر من خلال طرق ضيقة ومسالك مرسومة وابعاد محدودة لا يسمح بتجاوزها.

بيد أن الدعوة الكريمة التي وجهتها وزارة خارجية دولة الامارات العربية المتحدة الشقيقة إلى السفراء العرب والأجانب لدى الدولة لزيارة جزيرة صير بني ياس قد ألغت هذا المفهوم وكسرت ذلك الحاجز الوهمي وابرزت وجهاً آخر للدبلوماسية الناجحة التي تنتهجها دولة الامارات العربية المتحدة بقيادة مؤسسها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان

آل نهيان ممثلة في هذا الجانب بمعالي الأستاذ راشد عبد الله وزير الخارجية ذي الباع الطويل والخبرة الواسعة في ميدان السياسة والدبلوماسية ووزير الدولة للشئون الخارجية الشاب النشط سمو الشيخ حمدان بن زايد الذي كان وراء تهيئة هذه الرحلة... موضوع الحديث.

كانت الشمس قد أشرقت وأرسلت أشعتها الذهبية لتضئ بنورها ربوع المدينة الحديقة الجميلة أبو ظبي صباح يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٤١٤ هـ الموافق ٧ يناير ١٩٩٤م حين تجمع سبعة عشر سفيراً عربياً وأجنبياً في مطار البطين مع زوجاتهم ليتم نقلهم على احدى الطائرات إلى جزيرة صير بني ياس لقضاء ذلك اليوم في التعرف على ما فيها من منجزات حضارية لم يكن ممكناً تصورها قبل رؤيتها.. نعم، انها تلك الجزيرة التي لم أجد عنواناً أنسب لهذا المقال ينطبق على الواقع المعاش فيها سوى (الجزيرة التي لا يشعر سكانها بالخوف).. اما كيف؟ فهذا ما سيأتي ذكره تاليا.

كانت البداية عندما استقبلنا في مطارها المجهز لدى وصولنا السيد غسان الغصين بفنجان قهوة اماراتية طيبة

المذاق وابتسامات ترحيبية يوزعها هنا وهناك، حيث انتظمنا بعد ذلك في قافلة من سيارات الجيب وحافلات مريحه أخرى خصصت للسيدات وأزواجهن.

بعد أن استعد الجميع لأخذ الصور التذكارية بآلاتهم الخاصة، أخذنا بجولة استغرقت زهاء ساعتين تقريباً مررنا خلالها على مختلف المعالم الحضارية والانجازات الانسانية المتمثلة بصيانة حياة الحيوان والحفاظ عليها.

التقطت لنا هذه الصورة حين هبوطنا على أرض الجزيرة

وأثناء مرورنا بين المناطق المخصصة لكل نوع من الحيوانات المتواجدة فيها والمخطط لها تخطيطاً هندسياً متقناً، كنا نوزع النظرات ذات اليمين وذات الشمال وعلى مدى البصر في محاولة منا لاختزان صور لبعض ما يقع عليه البصر من لوحات جمالية صنعتها ارادة الله الذي سخر الانسان بأن أودع فيه قوة العزم والتصميم لينفذ إرادة الله على أرضه، أما هذا الانسان ذوا الإرادة الحديدية الذي حفر الأرض بيديه واقتلع الصخر بساعديه، وحمل الشجر على كتفيه وأمضى الساعات الطوال في تفقد معالم الصورة التي رسم معالمها... فكانت تلك اللوحة الجميلة التي خلقها بين الصخور الصلدة والمنحدرات الصعبة والوديان المنخفضة، فليس سوى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة وباني حضارتها وراعي وحدتها.

ان أكثر ما لفت نظري وشد انتباهي أثناء التجوال تلك الزرافة التي كانت تنظر الينا من خلال الأشجار الوارفة الظلال التي تضاهي طول رقبتها ولم تنشغل في ذات الوقت عن مولودها الذي اعتقد أنه قد شب عن الطوق ولم يعد بحاجة

الى رعايتها، ولكنها عاطفة الأمومة، تلك الغريزة النبيلة التي أسكنها الخالق عز وجل قلوب الأمهات، ونعامة لم تجفل منا ويبدو أنها قارئة غير جيدة للتاريخ حتى تعرف ما حدث لجدتها عندما كان الإنسان إلى وقت قريب يطاردها للامساك بها وربما لقتلها لا لشيء إلا كي يقال أن فلانا قد صاد نعامة، انه التفاخر والزهو حتى لو كان بارتكاب إثم وتعمد خطأ وهذا ما

تبدو في هذه الصورة إحدى الزرافات مع مولودها وهما ينظران الينا بتوجس وحذر

تعرض له نوع الغزال أيضـاً.

ولعلي في هذا السياق أقف قليلا عند المقولة التي تصف النعامة بالغباء لأنها تدفن رأسها في الرمال حينما تعجز عن الإفلات من مطاردها مع أن الحقيقة التي اعتقدها وأرجح صدقها ان كانت تفعل ذلك حقاً هي أن النعامة انما تفعل ذلك ليس خوفاً.. ولكن خجلاً من قلة الحيلة وانعدام القدرة والوسيلة للتخلص من المأزق الذي هي فيه.

واصلنا الجولة وتوقفنا قليلاً بالقرب من طاؤوس ما أن رآنا حتى أخذ يختال بزهو وكبرياء ناشراً ريش ذيله الجميل يتبختر أمامنا غير عابئ بمرورنا.. انه بحق طائر جميل اقتناؤه يزين البيوت ويجملها لو لم تكن تصدر عنه أو منه تلك الأصوات المزعجة وقت القيلولة وأنصاف الليالي هذا ما قاله الأخ المهندس غسان الغصين ربما لأنه قد عانى من ذلك.

اما الغزلان من ذلك النوع الصحراوي الرشيق خفيف الحركة سريع اللفتات فما أن اقتربنا من منطقته المفتوحة حتى أطلقت سيقانها للريح وكأنها في سباق مستعرضةً مهارتها واتساع قفزاتها وهي تعيش في مجموعات كبيرة مع أنواع أخرى

في أمـن وأمان لا مشـاكل بـينهـا ولا خلافات، عـدا ذلك الـعراك التقليدي الذي يحدث عادة بـين الذكور وقت التزاوج كله من أجل أن ينال رضـى الأنثى التي تفضل القوي القادر على حمايتها.

مجموعة من الغزلان التي تعيش على الجزيرة بسلام

أما تـلك الأسراب الـهائلـة من الحمـام فقد اطـمأنت عـلى سلامتـها فلم تعـد تخشـى بنـدقية صياد أو مـخالب صقر يـنقض عليهـا من عل، ناهيك عن البـط الذي أغرت حياته الهانـئة بني جنـسه المهـاجر، فحـط الرحال فـي ربوع هذه الجـزيرة مفضـلاً البقاء فيها على مواصلة الهجرة أو العودة إلى موطنه الأصـلي.

وبذلك تكاثرت وتعددت أنواعها في أحضان الطبيعة حيث الخضرة والماء والهواء شأنها شأن غيرها سكان هذه الجزيرة أو مملكة الحيوان الآمنة التي لا يأتيها الخوف من تحت ولا من فوق فلا عدو يروعهم ولا صياد يخيفهم لذلك عاشوا لا يعرف الخوف إليهم طريقاً.

ولقد استهوانا التجوال... كيف لا؟ ونحن كلما امتد بنا الزمان رأينا شيئاً مبهراً واستوقفنا انجاز جديد..

هذه الصورة أثناء التجوال ويرى سعادة السفير مدير المراسم بوزارة الخارجية الاماراتية الأستاذ/ عبيد الزعابي وخلفه سعادة السفير الكويتي/ إبراهيم عبدالله المنصور والمؤلف يسار القارئ

واعتبرت نفسي محظوظاً أن يكون السيد المهندس غسان الغصين المسؤول الفني عن الجزيرة هو قائد عربة الجيب التي رافقت فيها كل من سعادة وليم آرثر السفير الأمريكي وسعادة شين واتناب السفير الياباني، وبصفته مسؤولاً عن الجزيرة فقد كان مع كل ايماءة من يده أو انحراف من سيارته إلى جهة من الجهات يحقننا بجرعة قيمة من المعلومات التي لا أعتقد أن أحداً في العربات الأخرى قد حصل عليها في حينه.

يرى في الصورة أعلاه كُلّ من السفير الأمريكي يقف على يسار المؤلف يليه السفير بوزارة الخارجية بدولة الامارات عبيد الزعابي ثم السفير الأردني عوض أبو عبيد.

أثناء تجـوالنا توقـفنا أمام مـدخل أحد البـساتين الصـغيرة والذي قال عنه الأخ غـسان: أنه أقدم بستان في الجـزيرة، فهو حسب عـلمه، كان مملوكًا لأحـد سكان هذه الجزيـرة الأقدمين عـندمـا كـانت مـسـتوطـنـة لقـبـيـلة بـنـي ياس، وقـد كـان قبـل استصلاحـه عبارة عن بئر وشجـيرات من النخيـل.. أما اليوم فقد أصبـح يضم مئات من مخـتلف أشجار الفواكـه، وقد سمح لنا بقطـف ما نشاء من الشجر المـثمر كالبرتقال والـيوسفي، أما الأشجار الأخرى فثمرها لم يستو بعد.

التقـطت هذه الصورة أثـناء تجوالنا فـي البستان الـقديم الحديث ويرى فـيها إلى يمين المؤلف سـعادة الأخ السفير الكويـتي إبراهيم عبداللـه المنصور وهو يداعـب إحدى البرتـقالات قبـل قطفهـا وإلى يسـاره الأخ يوسف المدفـعي أحد مـوظفـي المراسـم بوزارة الخـارجية بـدولة الامـارات العـربيـة المتـحدة الشقيقة وكُلّ من سفراء الجزائر والأردن واليابان واندونيسيا.

ومنه عدنـا أدراجنا لموقع الاستـراحة الجميل الذي يـعانق مياه البحيرة الصناعية التي أضفت عليه روعة وجمالاً وجعلت منه مكانـاً خلاباً يوحي بالشعر ويثير إحساسا بالرومانسية.

في الصورتين أعلاه بعض السفراء العرب والأجانب في استراحة الجزيرة

زاد في الرغبة بالاسترخاء تلك الوجبة الغنية بمختلف أصناف الأطعمة الشهية التي قدمت على مائدة الغداء.. ولكن الأخوين عبيد الزعابي ويوسف المدفعي والأخ الغصين، لم يمهلونا طويلاً إذ أخذونا في رحلة بحرية قصيرة استمتعنا خلالها باستنشاق هواء البحر النقي وبمنظر الدرفيل وهو يستعرض أمامنا وكأنه يقول أأستطيع أن أقدم مساعدة؟ وليعلن أن المنطقة التي هو فيها خالية من سمك القرش المفترس لمن يريد السباحة.

تظهر هذه الصورة جانباً من مائدة الطعام الغنية بمختلف أنواع المأكولات الشهية

وبعد ذلك كله عدنا إلى مدينة أبو ظبي وألسنتنا تلهج بالشكر والتقدير.

معذرة – عزيزي القارئ– فأنا أدرك أنني لم أضف جديداً على ما تفضل به الزملاء السفراء، ولكنه التزام قطعته على نفسي بكتابة مقال عن هذه الجزيرة وكنت وقتها ما زلت واقعًا تحت تأثير انبهار عاطفي بما رأيت، وبراً بالوعد سطرت كلمات هذا المقال المتواضع الذي سيظل ناقصاً ولن يفي بحق هذه الجزيرة الرائعة والرائدة بين الجزر فهي أكبر من أن توصف بكلمات هي خواطر ليس أكثر.

معلومات عن الجزيرة:-

* مساحة الجزيرة ٨× ٢٥ كيلو متراً = ٢٠٠ كيلو متر مربع
* تبعد عن مدينة أبو ظبي حوالي ٢٠٠ كيلو متر.
* تقع قبالة الشاطئ الذي أقيم عليه فندق جبل الظنة وتبعد عنه حوالي ٨ كيلو مترات.
* توجد بها محطة تحلية مياه بقدرة ٤ ملايين جالون يومياً.
* بها نحو ٣٠٠ ألف من أشجار الفاكهة بينها ٢٠ ألف نخلة، وكلها أشجار مثمرة.

* أما عن الحيوانات فيعيش على الجزيرة أكثر من ٣٠ ألف رأس من مختلف أنواع الغزلان ومعظمها طليق والبعض الآخر في غابات مغلقة وتتجاوز أنواعها ٢٣ نوعاً.
* فيها أيضاً ٦٨ نوعا من الطيور استجلب منها ٢٥ منها من الخارج وتوجد ثلاث بحيرات صناعية تم تخصيصها للبط والأوز والأنواع الفريدة من البجع.
* ٦٠٠ عامل وأربعة أطباء يتواجدون في الجزيرة بصفة دائمة لرعاية الحياة فيها.



(١) نشر هذا المقال بصحيفة الاتحاد الاماراتيه بتاريخ ١٤١٤/٨/٤هـ الموافق ١٩٩٤/١/١٥م، ولما له من قيمة تاريخية وتعريف بهذه الجزيرة رأيت تضمينه هذه الأوراق المتناثرة، ليكون أيضاً استراحة للقارئ الكريم.

أخطاء شائعة

كثيرة

هي الأخطاء اللغوية الشائعة المتداولة على ألسنة الناس، وقد كتب عنها الكثير من قبل - المتخصصين والكتاب - الذين اهتموا بهذه الظاهرة التي أصبحت للأسف الشديد تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم إلى أن أصبح الناس يتعاملون بها ومعها كما لو كانت أمراً مسلماً به وواقعاً حقيقياً فرض نفسه على اللغة العربية التي اتصفت بالدقة والوضوح وبغزارة المفردات وكثرتها بحيث لا تسمح بأن يصبح هذا الخطأ أو ذاك حقيقة لا مفر منها..

فكلمة سوء تفاهم على سبيل المثال والتي تعني وجود اختلاف في الرأي وتبايناً في وجهات النظر بين طرفين أو أكثر.. نرى بعضهم يستخدم كلمة سوء فهم لتعطي المعنى نفسه مع أن هذه الأخيرة تفيد بعدم ادراك المعنى المقصود من قبل المتلقي وليس بوجود اختلاف في الرأي أو تباين في وجهات النظر.. كما تفيد كلمة سوء تفاهم وغير هذه وتلك مما تفزع منه طبلة الأذن وتهتز لا طرباً ولكن قشعريرة ورفضاً.

(٢)

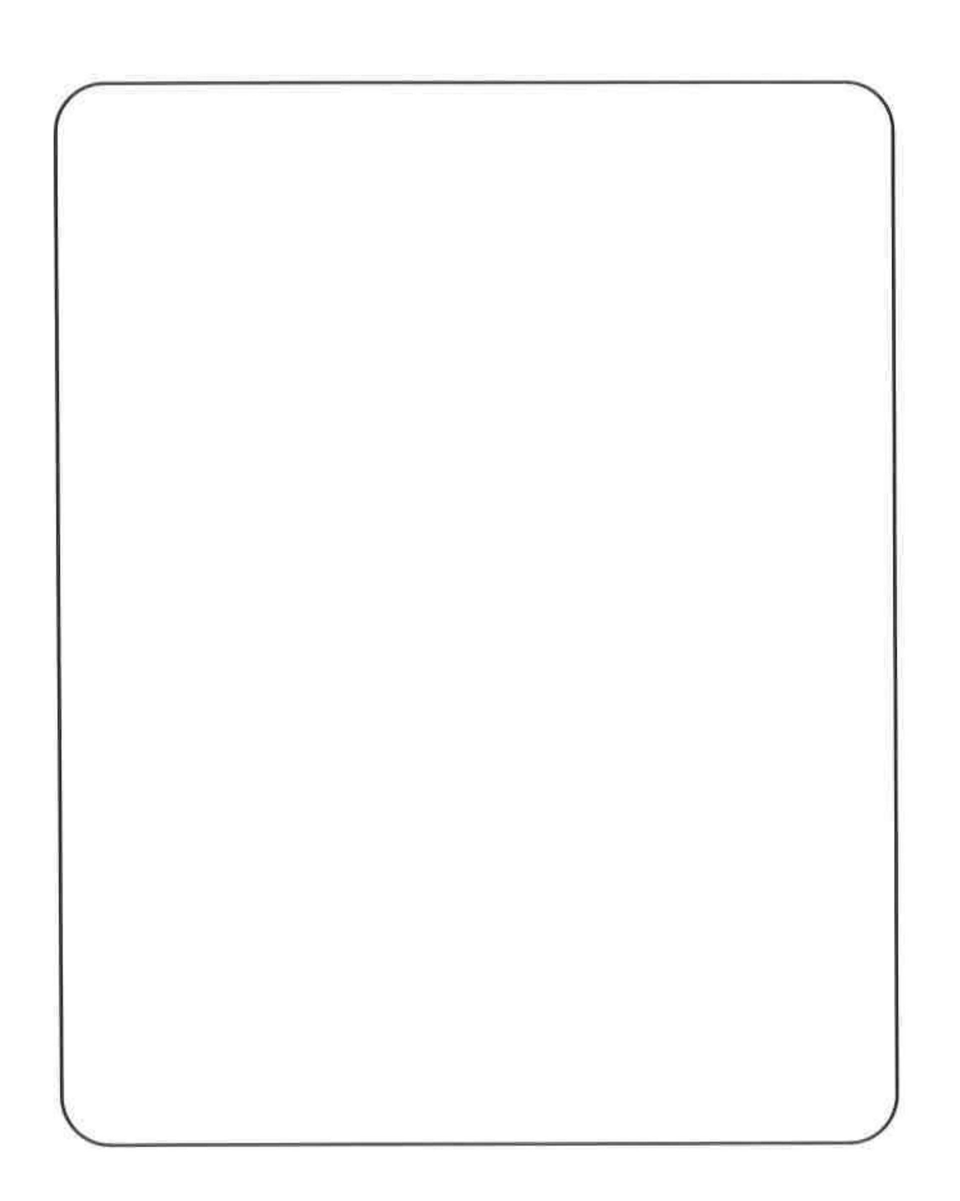
ومن الأخطاء الشائعة أيضاً والتي كثيراً ما يقع فيها بعض الخطباء والكتاب ما يقال أو يكتب بقصد الإشادة بأحد الانجازات (ان دل هذا على شئ فإنما يدل على كذا وكذا) مستخدماً عبارة – ان دل – وهذا يعني التحقير والتصغير من شأن هذا العمل المراد مدحه أو الإشادة به.

لذلك يتوجب في هذه الحالة ان تحذف عبارة – ان دل هذا على شئ – ويكتفي بالقول وهذا يدل على كذا وكذا).

(٣)

ومن الأخطاء الشائعة أيضاً اصطلاح (بدل فاقد) بمعنى بدل مفقود، وهذا الاصطلاح الخاطئ نجده مستخدماً في الدوائر الحكومية والمؤسسات التعليمية والمحاكم الشرعية وغيرها عند التعويض عن مستند مفقود، مع أن فاقد.. اسم فاعل، ولا يعقل أن شيئاً من جماد يفقد نفسه بنفسه والا لكان ادعى أن يجد نفسه بنفسه بعد الفقدان، لذا فالصواب أن نقول (بدل مفقود) لأن المفقود اسم مفعول، فالمفقود يقع عليه الفعل من فاعل معلوماً كان أم مجهولاً، وهذه مسألة من دقائق ورقائق لغتنا العربية الواسعة الغنية الشاملة التي لو أمعنا النظر في أسرارها وسبرنا أغوارها لخفت عثراتنا وقلت أخطاؤنا ولما نشأت أخطاء شائعة.





الزواج من ثانيــة

الزواج من ثانية (١)

لعل

من أكثر المواضيع التي يكثر الخوض فيها والتطرق إليها في مجالس الرجال هذه الأيام موضوع الزواج من إمرأة ثانية.. فلم أحضر مجلساً من هذه المجالس طال زمنه أم قصر إلا ويكون هذا الموضوع مدار بحث ومحل نقاش، وما علق في ذهني والتصق بذاكرتي عن ذلك.. هذا الحديث الذي دار بين اثنين من رواد أحد هذه المجالس.

سأل أحدهم آخر يجلس غير بعيد عنه عن رأيه في الزواج من ثانية مع وجود الأولى، ومع أن الأخير قد سمع السؤال جيداً إلا أنه تباطأ بالجواب ربما لعلمه بأن التحدث في أمر كهذا لا يخلو من بعض حساسية وربما خطورة وعواقب وخيمة على من هو في وضعه العائلي.. فهو متزوج وعنده ثلاثة أولاد وبنتان، وهو سعيد في حياته الزوجية ولا يشكو من شيء ولا يطلب المزيد. لذلك أخذ يتلفت يميناً وشمالاً لعله أراد التأكد من أن أحداً من بين الحضور لن يشي به عند أهل

بيته ولو على سبيل المزاح بنقل ما قد يصدر عنه حول هذا الموضوع من آراء خاصة، وبعد أن اعتدل في جلسته وأجال بصره بين الحضور!!! كما لو كان يتفقدهم أو يحصي عددهم قال: إن الزواج كما يعلم الجميع هو إحدى نعم الله الكبيرة التي أنعم بها على عباده.

قال الله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الروم الآية ٢١].

وقال الله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها﴾[سورة الأعراف الآية ١٨٩].

كل هذه الآيات تؤكد أهمية الزواج للإنسان وأنه سترٌ له وصون لحياته، وهو فعل مشروع وسلوك متبوع عن طريقه يتواجد الإنسان على الأرض، ليعمرها بالتكاثر والتناسل وبدون ذلك تكون الأرض خاوية من مظاهر الحياة التي يمثل الإنسان فيها المعنى الحقيقي لها.

لذلك يصبح الزواج أمرًا حتميًا لبناء صرح الحياة وواجبًا دينيًا وسلوكًا أخلاقيًا واجتماعيًا يُرغب فيه ويُحث عليه كل

مؤهل له قادر عليه، فقد روى الجماعة عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[1] وهو أيضاً نشاط جسدي واستجابة طبيعية لغرائز حيوية أوجدها الخالق جلت قدرته وعظمت مشيئته في كيان مخلوقاته. لكنه بالنسبة للمخلوقات غير العاقلة غريزة مطلقة غير مقيدة بشروط أو حدود. أما بالنسبة للإنسان الذي ميزه الله بالعقل فهو يدرك أن للزواج أهدافاً سامية وغايات نبيلة ومن شروطه ومتطلباته الإستعداد النفسي والقدرة الجسدية والمادية لذلك يحسب للأمر حسابه ويعد له عدته قبل الإقدام عليه.

وهنا توقف المتحدث عن الكلام لحظة وهو ينظر إلى صاحب السؤال: - أردف بعدها قائلا: أما عن رأيي في الزواج من ثانية مع وجود أخرى، فأقول مؤكداً مشروعية ذلك لكون الزواج هو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع البشري الذي قوامه الإنسان باعتباره مصدر قوة الأمة وعزتها وحامي

(١) الباءة: القدرة على نفقة الزواج، وجاء: كسر وقطع الشهوة (رواه البخاري ومسلم).

حماها وحافظ أمنها، لذلك جاء اهتمام الإسلام بإكثار النسل عن طريق الزواج ولكن بشروط شرعية وأخلاقية سنتعرف عليها في سياق هذا الحديث.

لذلك أقول سائلاً الله العون والتوفيق أن من وفق بزوجة صالحة يأنس بها ويطمئن إليها، ودود ولود كما قال الرسول ﷺ، ورزق منها بنون وبنات وكانت عشرتها معه طيبة وحياته معها مستقرة خالية من المنغصات، تحبه وتحافظ عليه وتقوم بما عليها نحوه من واجبات لا تشكو من شيء ولا تعاني من مرض، فليتمسك بها ولا يفرط فيها لئلا يخسرها بالزواج عليها من إمرأة أخرى، وبخاصة إذا هو لم يأنس في نفسه الإستطاعة والقدرة على الوفاء بالشروط الملزمة له شرعاً فيما يتعلق بالعدل بينهما، وخشى من نفسه الميل كل الميل مع واحدة دون الأخرى، وتصور ما في ذلك من إثم عظيم، عند الله وما ينشأ عن ذلك من الضغائن والأحقاد بين الأبناء أنفسهم والزوجات، الأمر الذي سيحول حياته في وضع كهذا إلى عذاب وبيته إلى جحيم يفقد فيه ما كان ينشده من سعادة وهناء. والحكم هنا ليس مطلقاً فهناك بيوت كثيرة قائمة على مبدأ التعدد لا يشكو أصحابها من شيء مما سبق ذكره لكنه يأتي من

منطلق التنبيه ووجوب حساب العواقب وقياس عمق المياه قبل الخوض فيها تجنبا للغرق والوقوع في المحظور.

وزيادة في الإيضاح أردف المتحدث قائلا: أما إذا كان الدافع للتعدد والهدف منه هو المتعة الجسدية المجردة والنشوة المؤقتة التي قد يتلوها طلاق وفراق، فهو لعمري من قبيل الخطأ الفادح والتصرف الذي يأباه الإسلام ويرفضه العقل ولا يقره المنطق لمخالفته النهج الإسلامي القويم ولتعارضه مع أخلاقياته وغاياته السامية وسلوكياته التي تهدف بهذا الانصهار المشروع بين الذكر والأنثى إلى بناء مجتمع انساني سليم متماسك، لا يعاني أفراده من عقد نفسية تؤدي إلى تفككه وانحلاله، لذلك يصبح التعدد من غير سبب معقول أو عذر مقبول معول هدم لهذه الروابط والأهداف التي تؤكد معنى الإنسانية، وتعمق أواصر المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع الواحد، فإذا كان الزواج يحقق كل هذه الغايات النبيلة والأهداف السامية، فالطلاق يقوض كل هذا ويهدم أركانه لما ينتج عنه من عواقب وخيمة... هدم بيت وتفكيك أواصر أسرة وضياع أفرادها وتشردهم في غياب الراعي، ناهيك عما يُسببه ذلك للمطلقة نفسها من قتل معنوي وحرمان

وشعورٍ بالخوف وعدم الاطمئنـان، وربما انحراف في السلوك وتغير في الطباع، حمانا الله وإياكم من مواطن الخطأ والزلل، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[سورة النساء الآية ٣].

وقال الله تعالى - وهو العليم الرحيم بعباده - ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كُل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ [سورة النساء الآية ١٢٩].

ويحذر الرسول ﷺ من الميل. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط(١).

هذا وعلينا أن لا نُغفل بأن المقصود هنا في الآية السابقة في ما يتعلق بعدم الإستطاعة مع الحرص على العدل هو الميل القلبي لواحدة منهن دون الأخريات.

---

(١) رواه الأمام أحمد والترمذي بلفظ؛ وشقه ساقط.

وأخيراً أقول إن الزواج من إمرأة ثـانية أو أكثر مع وجود الأولى فعل مشروع لكنه يتطلب توفر أسباب أوجدتها مسببات دفعت اليه.



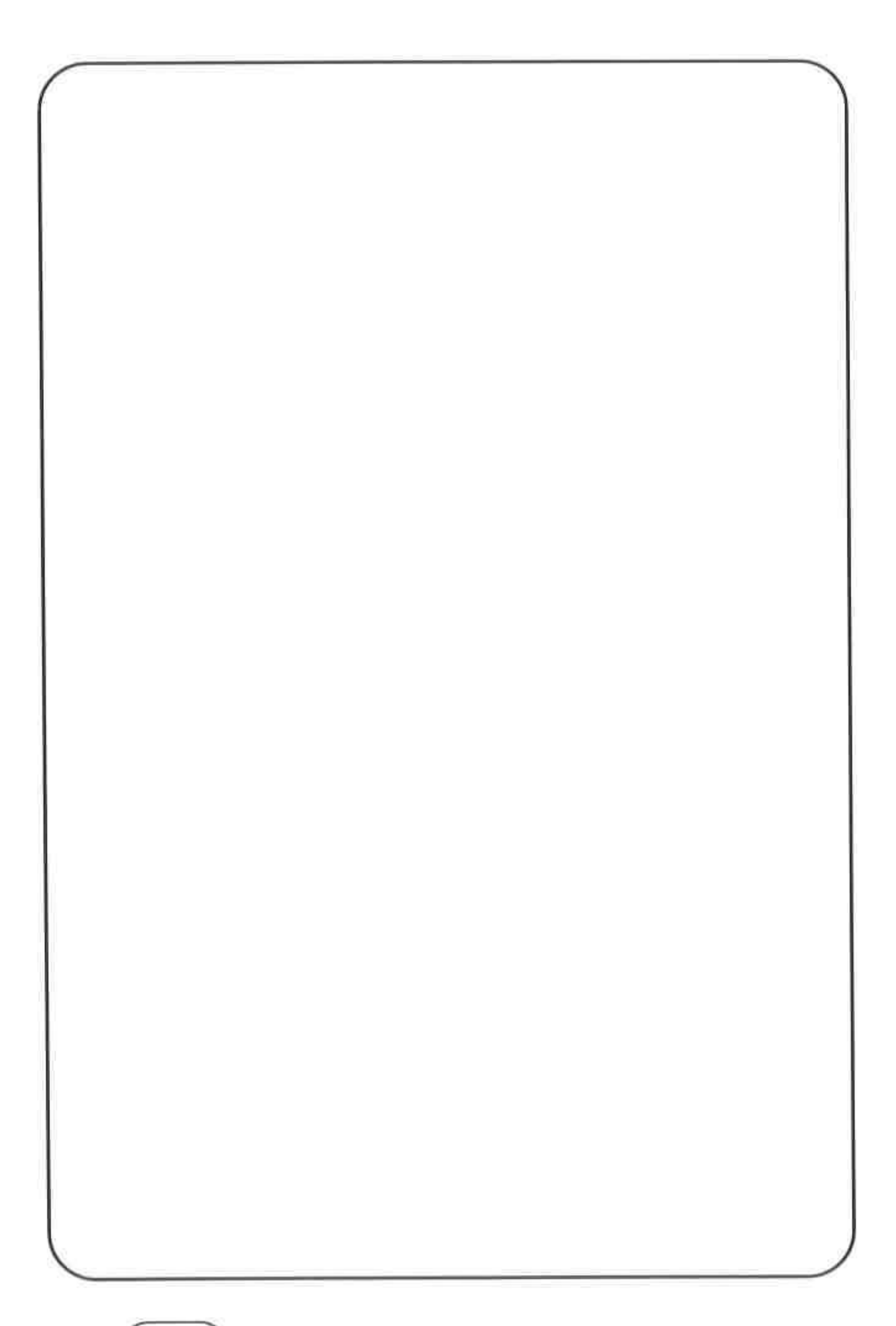
إضاءة

بعد أن فرغت من كتابة موضوع (الزواج من ثانية)، إذا بي أمام مقال مماثل يعالج الفكرة نفسها، ولكن بطرح ديني تاريخي شامل، منشور في مجلة (الاصلاح) التي تصدر في دبي، في عددها رقم (٣٢١) وتاريخ ١٥ - ٣٠ مايو ١٩٩٥م. تحت عنوان (تعدد الزوجات بين ضوابط الاسلام واباحة الغرب) بقلم عائشة يوسف أحمد.

وقد وجدته موضوعاً شيقاً يدعم بعض ما جاء في موضوع (الزواج من ثانية)، بل ويناقش من زاوية أخرى بعض النواحي الشائكة فيه ويكمل الطرح الذي هدفت إليه.

وحرصاً مني على استكمال الفائدة المرجوة منهما، استأذنت المجلة الغراء في إعادة نشر المقال المذكور في كتابي هذا **(أوراق متناثرة)** بعد أن تعذر معرفة عنوان الكاتبة فتكرمت المجلة مشكورة بالموافقة على ذلك خطياً كما ترى عزيزي القارئ.

المؤلف



تعدد الزوجات بين ضوابط الاسلام وإباحة الغرب

تعدد الزوجات يؤدي إلى كثرة النسل

إعداد: عائشة يوسف أحمد / رأس الخيمة

قال الله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾(النساء الآية ٣).

فمما أدركه الاسلام من العادات السائدة قبله تعدد الزوجات الذي كان منتشراً على نطاق واسع يمارسونه فيما بينهم، ولا يتقيدون فيه باعتبار من الاعتبارات، وكان من الطبيعي أن يعرض الإسلام العلاج لتلك الفوضى فلم يحرم التعدد كل التحريم، ولم يبقه مطلقاً من كل قيد أو شرط كما كان عليه من قبل، بل قيده وهذبه وجعله وافياً بحقوق المصلحة العامة وذلك بأن جعل الإباحة بأربع زوجات.

ولقد اتخذ أعداء الإسلام من نظام تعدد الزوجات في

الإسلام منفذاً لسمومهم ونشر أفكارهم ومبادئهم وهاجموا الإسلام ونبيه (ﷺ) من خلال هذا النظام متناسين ما كان عليه من اطلاق بلا تحديد قبل بعثة النبي الكريم (ﷺ) وقد وجد هؤلاء الأعداء من ضعاف المسلمين آذاناً صاغية ونفوساً خاوية انصاعت وراء نداءاتهم وشعاراتهم الزائفة وسار على هذا كثير.

معنى التعدد

يعني تعدد الزوجات أن يكون عند الرجل أكثر من زوجة واحدة في وقت واحد.

لم يكن الإسلام أول من شرع نظام تعدد الزوجات بل كان موجوداً عند كثير من الأمم السابقة كالهنود والصينيين والبابليين والآشوريين والمصريين، ولم يكن له عند أكثر الأمم عدد محدود فقد سمحت شريعة (ليكن) الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة وثلاثين امرأة، وكان عند أحد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف امرأة.

والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد، أما في الديانة النصرانية فلم يرد في الاناجيل نص صريح يمنع

التعدد، وقد ورد في بعض رسائل (بولس) ما يفيد أن التعدد جائز وإذا كان يلزم أن يكون الأسقف زوجاً لزوجة واحدة عنده فهذا الالزام دليل على جواز التعدد لغير الأسقف.

وقد ثبت تاريخياً أن بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من له كثير من الزوجات، وقد كان في أقدم عصور المسيحية من يرى إباحة تعدد الزوجات في أمكنة مخصوصة وأحوال استثنائية.

وقد بقي تعدد الزوجات معروفاً عند النصارى حتى القرن السابع عشر وكان كثير من ملوكهم ورؤسائهم يعددون وكذلك طوائفهم، بل إن تعدد الزوجات عند طوائف المورمون يعتبر نظاماً إلهياً مقدساً، كما أن الشعوب الغربية النصرانية وجدت نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال وخاصة بعد الحربين العالميتين إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة لا تزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب لها، وقد كان من بين الحلول التي برزت إباحة تعدد الزوجات. ومن هذا كله يتضح لنا أن التعدد كان سائداً على مر العصور.

التعدد في الشريعة الإسلامية

لـم تكـن شريـعـة الإسلام أول شـريعـة أبـاحت الـتعـدد، فعندما جاء الإسلام كان العرب في جاهليتهم يعددون.

١ – فعن الحـارث بن قيس قال: أسـلمت وعنـدي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) قال: (اختر منهن أربعاً).

٢– ان غيـلان الثقفـي أسلم وفي عـصمته عـشر نسوة، فـذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال له: (اختر منهن أربعًا وفارق سائرهن).

٣– أن نوفل بـن معاوية الـديلمي قال: أسـلمت وتحتـي خمس نـسوة، فـقال الـنبـي (ﷺ): (فـارق واحدة مـنـهن) قـال: فعمدت إلى عجوز عاقر معي منذ سنين فطلقتها.

وقـد عـدد الـنبـي (ﷺ) وأصحـابه رضـوان الله عـليـهم وانعـقد الاجـماع علـى اباحـة التعـدد من عـهده علـيه الـصلاة والسلام حتى يومنا هذا.

أسباب التعدد

ليس التعدد في الإسلام وليد نزوة أو طيش وإنما شرع لأسباب جوهرية، وحكم سامية، ومصطلحات عامة، وضرورات اجتماعية وشخصية ولتخليص المجتمعات البشرية من المشكلات الاجتماعية والمفاسد الخلقية.

وهذه الأسباب هي:

١- زيادة عدد النساء على عدد الرجال: كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوربا فإن النساء حتى في غير أوقات الحروب تفوق الرجال بكثير. وقد دلت الاحصائيات في فنلندا أن من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكرًا ،والباقون إناثًا، كما أن الرجال يتعرضون للموت بسبب الحروب وغيرها من الأعمال الشاقة التي يمارسها الرجال عادة كالعمل في المناجم وقطع الأحجار وفي أعماق البحار. وقد دخلت أوروبا حربين عالميتين خلال ربع قرن فهلك فيها ملايين الرجال وأصبحت جماهير غفيرة من النساء ما بين فتيات أبكار وما بين متزوجات بلا أزواج بعد أن فقدن

عائلهن، كما أن ألمانيا طلبت من الأزهر نظام تعدد الزوجات في الإسلام لتحل بها مشكلتها. ومن هذا يتضح لنا أن تعدد الزوجات يكون أمرًا واجبًا.

٢ – مرض الزوجة أو اصابتها بعقم أو مرض مزمن: قد تكون الزوجة عقيمًا لا تلد والزوج يحب انجاب الأولاد والذرية، ومثل هذا ليس أمامه إلا أحد أمرين: إما أن يطلق زوجته العقيم، أو أن يتزوج أخرى عليها ولا شك في أن الزواج عليها أكرم للمرأة وأصلح لها والمرأة العاقلة تفضل التعدد على الطلاق، لكون الطلاق ضياعًا وتشردًا، كما أن الوقائع تشير إلى أن هناك زوجات عاقلات أصبن بهذا الداء وطلبن بأنفسهن من أزواجهن أن يتزوجوا عليهن بأخريات حتى يوفرن لهؤلاء الأزواج الحياة الزوجية السعيدة ولو في ظل زوجة أخرى تقوم بمتطلبات الرجل. وقد تصاب الزوجة الأولى بمرض مزمن أو معد أو منفر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج. فالزوج هنا بين حالتين إما أن يطلقها وإما أن يتزوج عليها أخرى ويبقيها في عصمته

وتحت رعايته والحالة الثانية بلا شك أكرم وأنبل وأضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها.

٣ - زيادة عدد الأرامل والعانسات والمطلقات: إن بقاء المرأة العانس أو المطلقة أو الأرملة مدة طويلة بلا زوج وبلا عائل قد يغري ضعيفات النفوس بالانحراف والغواية مما يؤدي إلى فساد المجتمع وتفشي الرذيلة. ولا علاج لهذه الظاهرة إلا الزواج. ومثل هؤلاء لا يتجه إليهن الشباب أو العزاب ولكن الغالب أن يقصدهن أشخاص سبق لهم الزواج. ولا شك أن زواجاً مثل هذا فيه حماية لهؤلاء النسوة وفيه حفظهن من السقوط في هاوية الرذيلة وطريق الانحراف. ولا يوجد إنسان يحترم كرامة المرأة ويقدر مصلحة المجتمع يفضل انتشار الدعارة على تعدد الزوجات.

٤ - كثرة الأسفار بالنسبة للرجل: قد يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار. وتكون إقامته في غير بلدته تستغرق في بعض الأحيان شهوراً ويتعذر عليه نقل زوجته وأولاده كلما سافر، وهنا يجد نفسه كرجل بين حالتين: إما أن يشبع ميله الجنسي عن طريق غير مشروع وهذا هو الزنى ومنه

نكاح المتعة، وإما أن يتزوج أخرى، ولا شك أن الزواج بأخرى هو من مصلحة الدين والأخلاق والمجتمع.

٥ – عنف الغريزة لدى بعض الرجال: قد يكون عند بعض الرجال من القوة الجنسية ما لا يكتفي معها بزوجته إما لشيخوختها أو لضعفها أو لكثرة الأيام التي لا تصلح فيها للمعاشرة الجنسية كأيام الحيض والحمل والولادة والنفاس والمرض – وفي هذه الحالة إما أن يكون اشباع غريزته بالمعاشرة المحرمة، وإما أن يكون عن طريق الزواج المشروع.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله: (من الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبه الزيادة عن الواحدة إلى الأربع...).

كما أن الرجل قد تكون عنده الرغبة الأكيدة والعزم الصادق في انجاب الأولاد، وتكثير الذرية اما ليستعين بهم على أعباء الحياة، وإما ليعدهم شباباً مؤمنين ودعاة صادقين، يبلغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وإما ليحظى بالأجر والمثوبة حين يحسن أدبهم وتربيتهم، لكي تقر عين رسول الله (ﷺ) في مباهاته الأمم يوم القيامة بكثرة أمته.

شروط التعدد وأحكامه

إن التعدد مباح في الأصل ولكن هذه الإباحة ليست مطلقة، بل لها شروط وأحكام تضبطها، وهذه الشروط والأحكام هي:

١- أن لا يزيد العدد عن أربع زوجات في وقت واحد، لقوله تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع..﴾[النساء الآية ٣]

وعلى ذلك اجماع الصحابة والأئمة المجتهدين في جميع العصور.

٢- أن يعدل الرجل بين جميع زوجاته ويسوي بينهن في الحقوق لقوله تعالى: ﴿فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى الا تعولوا﴾ [النساء الآية ٣]

فمن لم يتأكد من قدرته على العدل لم يجز له شرعاً أن يتزوج بأكثر من واحدة، ولو تزوج كان العقد صحيحاً بالإجماع، ولكنه يكون آثماً، وقد حذر رسول الله(ﷺ) من عدم العدل بين الزوجات. قال: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة أحد

شقيــه مائــل)

وقد أجمع العلماء وأيده تفسير الرسول (ﷺ) وفعله أن المراد بالعدل المشروط هو العدل المادي في المسكن واللباس والطعام والشراب والمبيت وكل ما يتعلق بمعاملة الزوجات مما يمكن فيه تحقيق العدل ومما يدخل في طوق الإنسان وإرادته، وأما العدل في غير المستطاع كالحب والميل فهو ليس بواجب لاستحالة القدرة عليه لأنه ليس في طوق البشر لقوله تعالى ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً﴾ [النساء الآية ١٢٩].

فالآية تفيد أن على الزوج ألاّ يميل عن الزوجة الأولى كل الميل فيذرها كالمعلقة لا هي زوجة يؤدي حقوقها ولا هي مطلقة تعرف سبيلها بل عليه أن يعاملها باللطف والحسنى بما استطاع عسى أن يصلح قلبها ويكسب مودتها. وقد فهم الرسول المراد من الآية وهو الحب القلبي لأن الإنسان لا يستطيع أن يعدل فيه ولو حرص لكونه خارجاً عن طاقة البشر، فقد كان حبه للسيدة

عائشة رضي الله عنها أكثر من حبه لباقي زوجاته، ولهذا كان يقول حين يعدل بين زوجاته في الأمور المادية (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك) ولهذا فانه في حالة عدم الاستطاعة في العدل يجب الاقتصار على زوجة واحدة.

٣- أن الأمر في قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ يفيد الإباحة ولا يفيد الوجوب، وبالتالي فالمسلم مخير بين أن يقتصر على زوجة واحدة أو يعدد، والتعدد رخصة لمن يحتاج إليه وهذا هو القول الراجح.

٤- اشترط بعض العلماء كالإمام الشافعي رحمه الله القدرة على الإنفاق لمن أراد التعدد.

مساوئ التعدد

١- العداء والتحاسد والتنافس الذي ينشأ بين الزوجات مما يؤدي إلى تنغيص عش الزوجية وانشغال بال الزوج بتوافه الخصام بين الزوجات مما يجعل حياته معهن جحيماً لا يطاق وحياتهن فيما بينهن نكداً لا يكاد ينتهي.

يقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - في كتابه

(هكذا علمتني الحياة) (أقوى الناس على تحمل المتاعب من يتزوج اثنتين، وأسرع الناس إلى الهلاك من يتزوج ثلاثاً، وأقرب الناس إلى الجنون من يتزوج أربعاً، وليس في اباحة الله لنا ذلك ما يحملنا على التعرض للمتاعب من غير ضرورة ملجئة). ويصور الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي في أبيات له عذاب المتزوجين باثنتين فيقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
وقد حاز البلى زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفاً
أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الأمر عكس الحال دوما
عذاباً دائماً ببليتين
رضا هذي يحرك سخط هذي
فما أخلو من احدى السخطتين

٢- إن هذا العداء ينتقل غالبا إلى أولاد الزوجات فينشأ الأخوة وبينهم من العداء والبغضاء ما يؤدي إلى متاعب للأسرة وللأب خاصة مما يكون له أسوأ الأثر في استقرار الحياة الزوجية.

٣ – إن الزوج لا يمكنه العدل بين زوجاته في المحبة مهما حرص على العدل في النفقة والمعاملة، وفي ميل الزوج إلى إحداهن ايحاش قلب الأخرى وإيلام لها، حيث تشعر أن زوجها كان لها خالصاً فأصبح لها من ينافسها في حبه وعواطفه ومسكنه ومأكله ومشربه وعند ذلك يهيج الشر بينهن، وينشأ الحسد الذي لا يخفف حدته إلا حكمة الزوج.

الشبهات التي اثيرت حول التعدد والرد عليها

١– إن في تعدد الزوجات امتهانا للمرأة واحتقاراً لها ومزيداً من تسلط الرجال عليها واستجابة لنزواته ورغباته. ويرد عليهم بأنه لا حجة لهم في هذا فهل الاكرم للمرأة أن تكون خدنا لمجرد قضاء الشهوة ليس لها أية حقوق ولا لمن تنجبه أو أن تكون زوجة وأما لها ولأولادها كل الحقوق التي تكفل لهم حياة كريمة سعيدة.

٢– إن تعدد الزوجات يؤدي إلى كثرة النسل التي تزيد من أعباء الدولة وتوجد العاطلين وتكثر البطالة مما ينجم عنه وجود منحرفين يكونون معول هدم ومصدر شقاء للأمة.

ويرد عليهم بأنه لا حجة لهم كذلك لأن المعلوم في العالم وعلى مر العصور أن كثرة النسل مع حسن التربية من أعظم عوامل قوة الأمة وازدهارها، ومثال على ذلك اليابان والصين، كما أن المنحرفين الذين سيكونون معول هدم هم اللقطاء الذين يأتي بهم عدم التعدد لأن الواحد منهم يكون ناقماً على هذا المجتمع الذي يحمله ذنب خطيئة لم يرتكبها، ولأنه لا ينتمي لأسرة يحافظ على سمعتها ويبتعد عن الخطايا من أجلها.

٣ – إن التعدد يؤدي إلى فصم عرى المودة والترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ويورث العداوة والأحقاد بين أبناء الرجل الواحد مما ينجم عنه تفكك المجتمع، ويرد عليهم بأنه لا حجة لهم كذلك لأن مرد ذلك كله إلى ظلم الأب وتفريقه بين أبنائه، وظلم الزوج وتفريقه بين زوجاته، ويظهر هذا حتى بين أبناء الزوجة الواحدة.

فلو أحسن الأب التربية وعدل بين أبنائه فلن يكون هناك تباغض أو تشاحن كما أن العداوة التي تكون بين الضرائر سببها الغيرة وهذا أمر فطر الله النساء عليه ولكن الذي يؤجج

نار هذه العداوة أو يخفف منها هو ظلم الزوج أو عدله.

وإذا ما أسيء تطبيق التعدد وممارسته فليس القصور من التعدد نفسه وإنما من الذين يعددون فيسيئون التطبيق، ثم إن هذه الأمة يفترض أن تكون أمة جهاد، والجهاد بحاجة إلى رجال كثر، وهذا لا يكون إلا بالإكثار من النسل، ومن وسائله المؤكدة والسريعة تعدد الزوجات.

اتجاه الاجانب وغير المسلمين إلى نظام التعدد

إن هناك كثيراً من غير المسلمين اليوم يطالبون بالتعدد ويذكرون فضله ويحبذونه وينادون به ويشجعون عليه وذلك لمعرفتهم بمحاسنه وأثره الكبير في اصلاح المجتمع والأخلاق وحل المشكلات.

وقد فاء بعض العقلاء من أبناء أوروبا إلى رشدهم، وأخذوا يطالبون اليوم بالتعدد، بعد أن غشيتهم غاشية الزنى بسوادها وملأت عليهم الملاجئ والطرق باللقطاء وأبناء الأخدان والسفاح.

أ) ففي إنجلترا كتبت الكثيرات من النساء الإنجليزيات في الصحف وغيرها من المقالات التي يدعين فيها للأخذ بنظام

التعدد الإسلامي بل إن طائفة من رجال الدين والبحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به.

تقول إحدى الكاتبات الإنجليزيات: (لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك. ولأني امرأة فإني أنظر إلى هؤلاء البنات وقلبي يتقطع عليهن شفقة وحزناً فماذا يفيدهن بثي وحزني وتوجعي، وإن شاركني الناس فيه جميعاً لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة التعسة، ولله در العالم الفاضل (تومس) فانه رأى الداء، ووصف الدواء وهو الإباحة للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة وبهذه الواسطة يزول البلاء وتصبح بناتنا ربات للبيوت بدلاً من كونهن بائعات هوى فالبلاء كل البلاء في اجبار المواطن الأوربي على الاكتفاء بواحدة. وهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة ولو كان تعدد الزوجات مباحاً لما نزل بنا هذا البلاء). ويعقب على هذا فضيلة الشيخ شلتوت فيقول هذه الحال التي نادت هذه الكاتبة بمعالجتها هي الحالة التي قصدت الشريعة الإسلامية إلى علاجها حينما وضعت الزواج وحثت عليه وحينما

شرعت التعدد ووسعت فيه وصدق الله حيث قال: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلك ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾[1] وحيث قال: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات آخذان﴾[2].

ب) وفي ألمانيا يصرح الأستاذ فون اهرمسلس: (بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية)

ج) وفي فرنسا وغيرها يصرح الكثير من الفلاسفة والمصلحين بهذا، يقول الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه (حضارة الغرب).

[ولا نذكر نظاما انحى الأوروبيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات كما أننا لا نذكر نظاما أخطأ الأوروبيون في إدراكه كذلك المبدأ. فيرى أكثر مؤرخي أوروبا اتزاناً أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية في الإسلام وأنه سبب انتشار القرآن وأنه علة انحطاط الشرقيين. وهذا وصف مخالف للحق، مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى

(١) سورة النساء آية ٢٤.
(٢) سورة النساء آية ٢٥.

الأخلاقي في الأمم التي تقوم بـه ويزيد الأسرة ارتباطًا، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا].

وتقول (آني بيزانت) زعيمة الصوفية العالمية في كتابها (الأديان المنتشرة في الهند). (ومتى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي – الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء ارجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض اشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره).

هذا ما شهد به غير المسلمين مشيدين بنظام تعدد الزوجات في الإسلام بعد أن أحسوا وذاقوا مرارة ما عندهم. أو ليس فيه عبرة لمن يريد أن يعتبر؟

مقارنة بين تعددنا وتعددهم

إن نظام التعدد في الشريعة الإسلامية أخلاقي إنساني. أما إنه أخلاقي فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأية امرأة إلا إذا كانت زوجته أو أمته في حال وجود الرقيق وهو الآن غير موجود بشرط ألا يتجاوز عدد الزوجات الأربع.

وأما إنه إنساني فلأنه يخفف من مشكلات المجتمع

بإيواء امرأة لا زوج لها ونقلها إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات، ولأنه يعترف بالأولاد الذي أنجبتهم ويقوم بحقهم ورعايتهم كما يجب، ولأنه يدفع مقابل هذا الزواج مهراً ونفقات باعتبارها زوجة لها حقوق.

أما التعدد الواقع في حياة الغربيين فإنه واقع من غير شرع ولا قانون بل واقع تحت سمع القانون وبصره انه لا يقع باسم الزوجات ولكن يقع باسم الصديقات والعشيقات والخليلات.

– أنه ليس مقتصراً على أربع فحسب بل هو إلى ما لا نهاية له من العدد، ولو كانوا يشعرون لعلموا أن من يقتصر على أربع خير ممن يجدد كل ليلة إمرأة.

– أنه لا يلزم صاحبه بأية مسئولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن، بل حسبه أن يلوث شرفهن ثم يتركهن للخزي والعار وللفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة والإجهاض ولو كانوا يشعرون لعلموا أن من يلتزم نحو من يتصل بها بمسئوليات أدبية ومالية أنبل ممن يتخلى نحوهن عن كل مسؤولية.

– أنه لا يلزم صاحبه بالإعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم خزي السفاح والعار ما عاشوا، ولو كانوا يشعرون لعلموا أن انجاب نصف مليون ولد عن طرق الزواج أحسن للنظام الاجتماعي من انجابهم عن طريق السفاح.

– أنه لا يقع علناً تفرح به الأسرة ولكنه سر لا يعرف به أحد.

– أنه تعدد خال من كل تصرف أخلاقي أو يقظة وجدانية أو شعور إنساني.

– أنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية ويفر من تحمل كل مسؤولية.

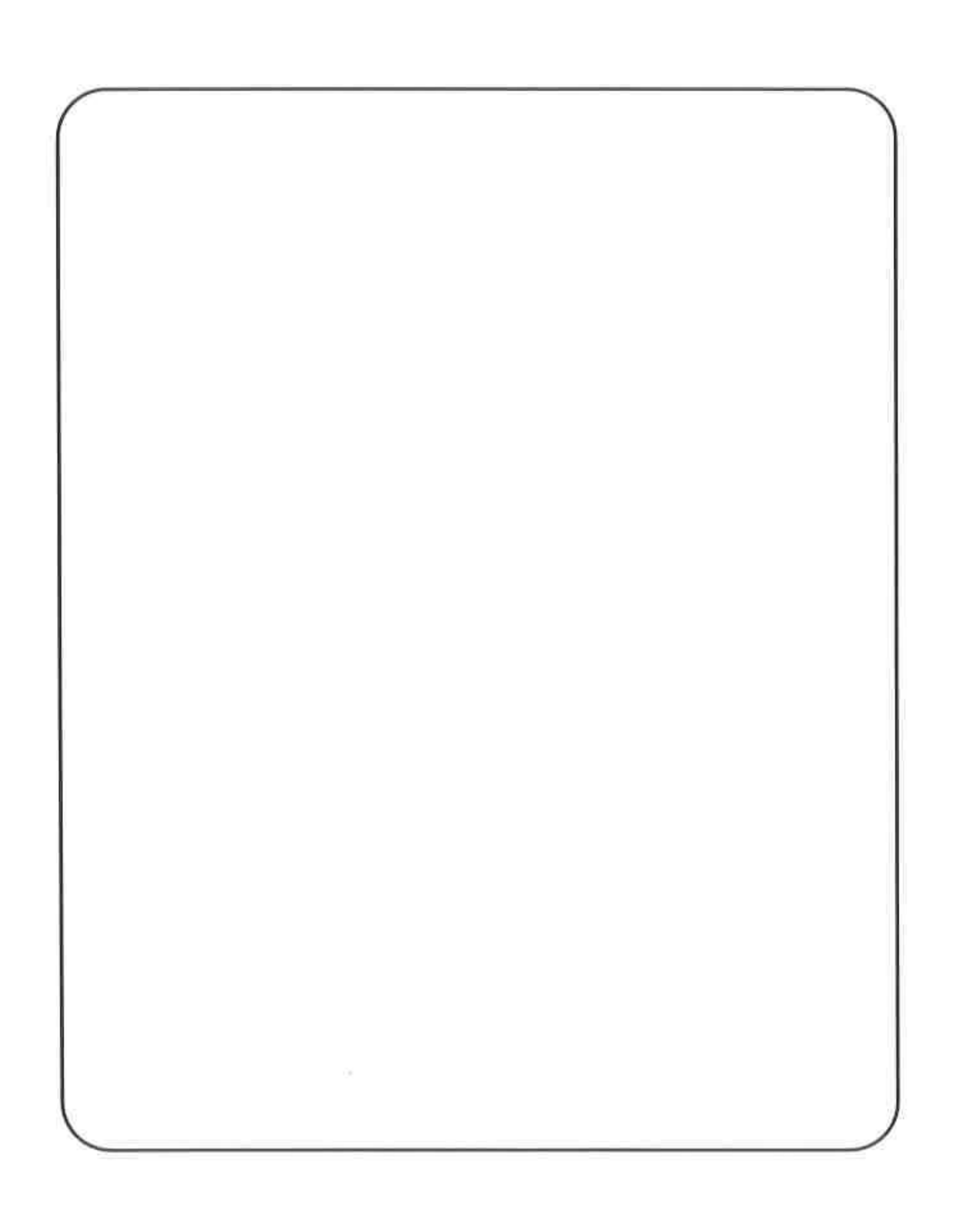
فأي النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة وأكرم للمرأة وأدل على الرقي، وأبر بالإنسانية، ولم كل هذه الضجة على نظام الإسلام في تعدد الزوجات؟

محاولات لمنع التعدد أو تقييده

هناك بعض من ينتمين إلى جمعيات نسائية من النساء يدعين إلى الغاء تعدد الزوجات أو تقييده بقيود جديدة تجعل الزواج بأكثر من واحدة ضرباً من المستحيل، ولقد كان لهذه الدعوة صدى سيء بالغ الأثر في الأوساط الإسلامية، أما في الأوساط التبشيرية والإستعمارية فكان لها صدى مستحب وتأييد مطلق حيث وصفت هذه المحاولات بأنها خطوة تقدمية في سبيل تحرير المرأة.

ولو أن هؤلاء المنادين بمنع التعدد أو تقييده عندهم التفكير الصحيح لناقشوا هذه القضية على ضوء الواقع والمصلحة والظروف الاجتماعية وتجردوا عن الهوى والعاطفة والتعصب حتى لا يقلبوا الحقائق ولا يقفوا هذا الموقف من نظام التعدد ولا يعلنوا تطاولهم على شريعة الله ونظام الإسلام لأن الله تعالى هو الذي شرع لعباده الأنظمة وهو الأعلم بما يصلحهم ويحقق سعادتهم واستقرارهم.





أهمية الاجازة الزوجيـــة

أهمية الاجازة الزوجية

العلاقة

الزوجية حياة قائمة على الحب والود والاحترام، أو هي كذلك في حال توفر أسباب نجاحها، وللحفاظ على استمرار هذه العلاقة قوية قادرة على مقاومة الزمن وتقلب الأيام، ولوقايتها من أن تصاب بأمراض الشيخوخة المبكرة، كالضعف والوهن والإحساس بالملل والفتور والرتابة، وعدم القدرة على ممارسة التكرار ، ولبث الحيوية فيها وتنشيطها، هناك من يرى أن غياب أحد الزوجين عن الآخر فيما يمكن تسميته (اجازة زوجية قصيرة) من شأنه كما يؤكد المجربون الذين أبلوا بلاءاً حسناً في هذا المعترك وقطعوا فيه مرحلة طوية أن يشعر كل منهما أثناء البعاد بقيمة الآخر وأهميته، وقد قيل زر غباً تزدد حباً، والإجازة الزوجية – إن جازت هذه التسمية – مطلوبة كوسيلة وليست كهدف لتجديد المشاعر وتحريكها .. فهي أقرب إلى صيانة المباني للحفاظ عليها وضمان عدم انتهاء عمرها الإفتراضي سريعاً .. على ألا

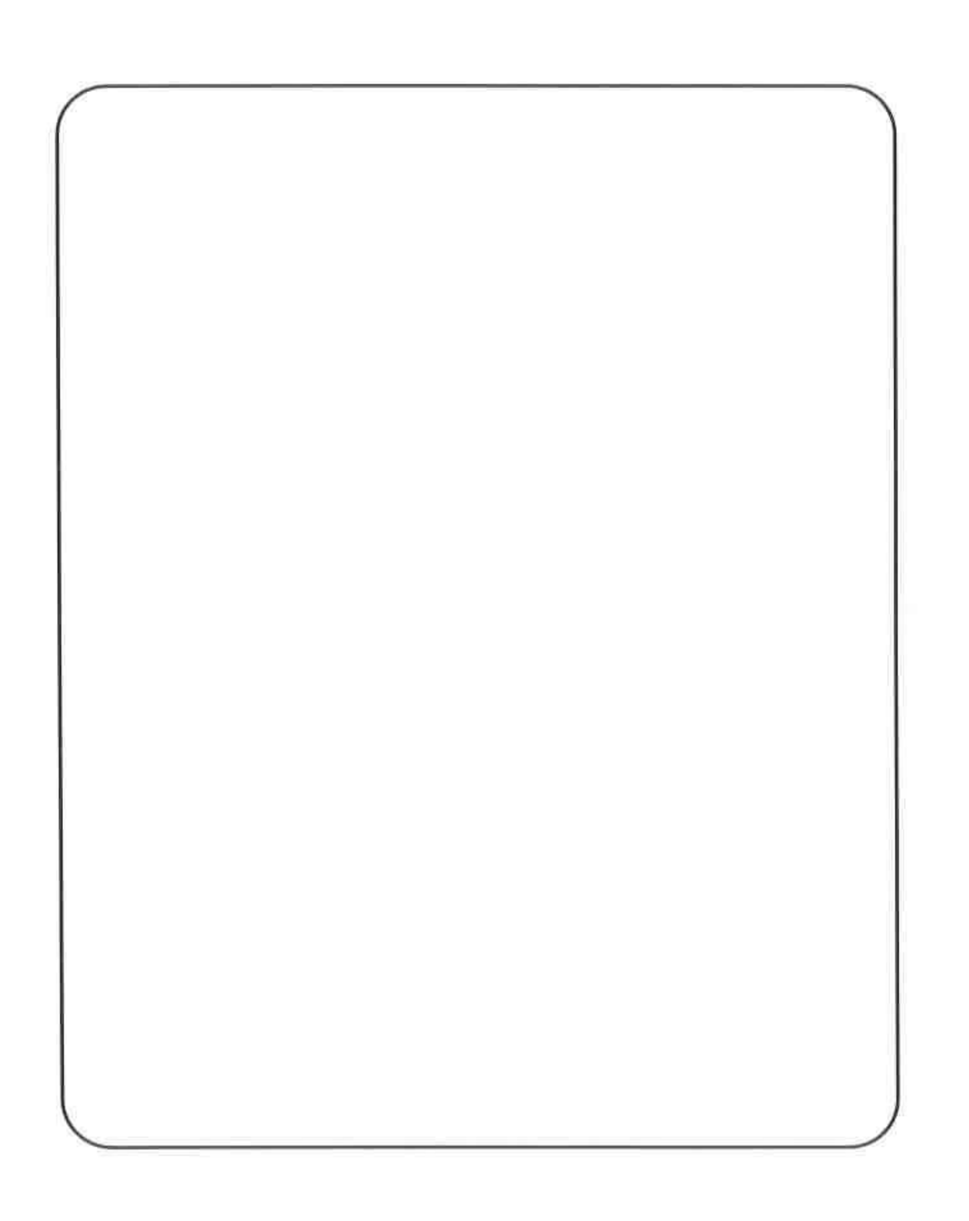
يكـــــون هذا البعاد مفتعـلاً ولكن لأسباب تستدعي ذلك يعرفها الطرفان .

ولا شك أن وجود أطفال لهما يـشكل عاملاً مهمًا ورابطًا قويًا ودعامة راسخة لتثبيت أركان هذه العلاقة وتوطيدها وقناة تتـدفق مـن خلالهـا العـواطف المشـتركة ونـقاط تـلتقـي عنـدها القلوب وتنصـهر في بوتقتها المشاعر .

وللتـأكد من أهمـية الاجازة والتـحقق من فـعاليتـها ومدى تأثيرها والتأثر بها .. علينا أن نتصور حال الزوجة أثناء غياب زوجها وما تـعانيه في مواجـهة أعباء متطـلبات الحياة اليـومية وتحمل مسـئولية الأطفال ورعايـتهم والحفاظ على سـلامتهم ، وكذلك الخـلل النفسـي والفراغ الكبـير نتيـجة الشعور بـالوحدة الذي يواجه الزوج عندما يعود إلى بيـته بعد عناء العمل فيجده خاليـاً أشبه ما يـكون بالمقبـرة يخيم علـيه السكـون ، فلا زوجة تستقـبله ، ولا طفل يعانـقه ، ولا صوت يؤنسه ، وبـعد أن يدير نظره هنا وهناك في أرجاء المنـزل كما لو كان يبحث عن شيء لا يدري مـا هو نـراه في الـنهـاية يـرتمي عـلى إحـدى الأرائك القريبة منه ليذهب في إغماءة يستـيقظ منها ليبدأ دوامة التفكير

من جـديد وهكذا دوالـيك إلى أن تعـود إلى البـيت الحياة بـعودة الـزوجـة والأولاد وتتـردد فـي جـنبـاتـه الأصـوات .. حـيـنـئـذ سيعيدان حساباتهما ويعـوضان ما فاتهما وسيدركان أن الحياة أسرة وأن الأسرة هي الحياة .





وقفـة مع الشعـر

وقفة مع الشعر



أحدهم عن رأيي في الشعر رغم أنه يعلم أني لست شاعراً لكنه أراد مداعبتي وتحديد مواهبي إن وجدت ، أو ليجعل سؤاله مدخلاً لموضوع آخر قد يفصح عنه فيما بعد ، ولأن سؤاله كان مباشراً ، فقد فاجأني به كما يقولون في المسلسلات التلفزيونية.

لذلك ترددت قبل الإجابة عليه ، ووددت لو أن سؤاله كان عما إذا كنت أقرأ الشعر ؛ إذاً لكان الجواب أيسر وأقصر إما بنعم أو بلا، إما أن أبدي رأيي في الشعر ، وهو ما قد يجر إلى الحديث عن الشعراء ، فهذا لعمري لهو المركب الصعب والأمر الذي لا أستطيعه ولا أقدر عليه لأنني لا أملك من المعرفة بهذا اللون من الأدب ما يؤهلني للخوض في بحوره وبحيراته .. وقديماً قيل إن فاقد الشيء لا يعطيه .. كما أكدت التجربة .

وانطلاقاً من ذلك كانت إجابتي بالنفي ، ومع أنها كانت سلبية مخيبة للآمال ، إلا أنها أراحته كما أراحتني .. (فالباب الذي يأتيك منه الريح سده واستريح) كما يقول المثل

الشعبي ... ولعلها حكمة بليغة لم يأسف من أخذ بها وعمل بموجبها .

فالحديث عن الشعر و الشعراء من غير ذوي الإختصاص يعد مغامرة لا تحمد عقباها ومخاطرة شائكة .. ومقامرة لها ما بعدها ، وقد قيل : رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه .. إذ لا يجرؤ على الحديث عن الشعر كأحد الأساليب الأدبية الفنية إلا من كان شاعرًا موهوبًا أو عروضيًا متمرسًا يملك مفاتيح فك رموزه والغوص في أعماق بحوره والوصول إلى أبعاده والقدرة على التحليل الفني لتفسير أهدافه ومراميه.

ولأنني أفتقر إلى كل ذلك ، فسيكون حديثي عن الشعر كقارئ له باعتباره أحد ألوان الأدب الذي تمارسه مختلف الأمم والشعوب كوسيلة تعبير عن مشاعر وخلجات ناظمه إلا أنه في اعتقادي أصعب هذه الألوان الأدبية وأكثرها تعقيدًا لما يتطلبه من القارئ من فهم ووعي وإدراك جيد لأساليبه .. أما بالنسبة للشاعر الموهوب فيكفيه حين ينظم قصيدة ، أن تهب عليه نسيمات رقيقة وأحيانًا عواصف عاتية تحرك أوتار أحاسيسه لتعزف ألحانًا شجية تترجمها كلمات قصيدته التي

هي تصوير لمشاعره حين ولادتها ، وكلما كانت ترجمة هذه الاحاسيس أكثر صدقاً وواقعية تكون كالمثل السائر تجوب البلاد طولاً وعرضاً، وتكون أكثر قبولاً وأقوى تأثيراً في نفس القارئ وكلما كان الشاعر صادق المشاعر عميق الاحساس ، يتحرك في ساحة فكرية تمنحه حرية الفكر والانطلاق الذي ينشده لبناء هيكل قصيدته وتثبيت أركانها .. غير متجاوز لحدود الإدراك أو مبتعد عن معالم الصورة التي يسهل على القارئ فهمها ، ليشاطر الشاعر أحاسيسه ويعيش مشاعره ويقاسمه همومه وأشجانه ، وليس كل شاعر يستطيع ذلك إلا إذا كانت قصيدته وليدة لحظة تأمل ، يجد فيها القارئ حكمة أو خلاصة تجربة ، وتلفتاً يقظاً في زوايا الحياة ومنعطفاتها كقول الإمام الشافعي رحمه الله :

الناس بالناس ما دام الوفاء بهم
والعُسر واليُسر أوقاتٌ وساعاتُ

وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجاتُ

لا تمنعن يد المعروف عن أحدٍ
ما دمت مقتدراً فالسعد تاراتُ

واشكر فضائل صنع الله اذ جعلت
اليك لا لك عند الناس حاجاتُ

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

وقوله أيضاً :

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفساً إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلاً على الأهوال جلداً
وشيمتك السماحة والوفاء

ورزقك ليس ينقصه التأني
وليس يزيد في الرزق العناء

ولا حزن يدوم ولا سرور
ولا بؤس عليك ولا رخاء

وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ولطرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول عدي بن زيد بن الرقاع :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

وبيت زهير بن أبي سلمى :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وللحطيئة بيت في فعل الخير :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

ولبشار بن برد :

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه

ويقول محمود الوراق :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

في كل يوم يبتليك بنعمة

منه ، وأنت لشكر ذاك مضيع

أما ما يكون من الشعر وليد لحظة استرخاء ، وترهل فكر ، ونتاج عقل محلق في الخيال ، تائه مع الأحلام والأوهام لا يحمل إلا التأوهات والصراخ المكبوت ، والحسرات على فقدان معشوقة صورها له خياله ، فياليت شعري لو أن هذا الخيال الخصب امتزج بالواقع وعايشه ، لوجد فيه ما قد يلهمه حكمة أو موعظة يفيد الآخرين بها – بعد أن يكون قد عاشها وعايشها وتلمس العبرة فيها – بدلا من الاستغراق في أحلام

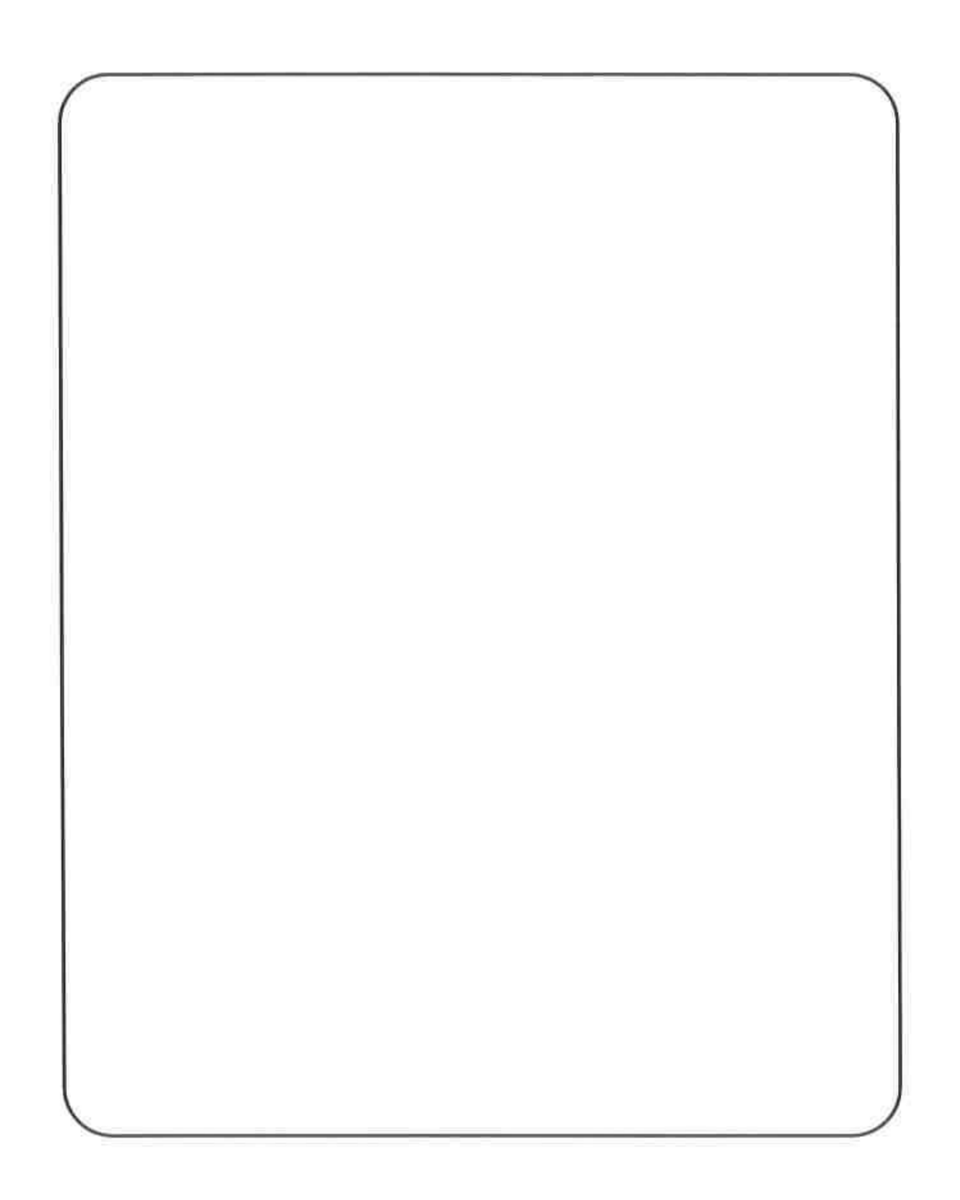
اليقظـة ومناجاة النجوم في لـيل طويل .. ليقول شعـراً يؤكد ما يعانيه من تيه وفقدان لذاته في متاهات الخيال .

فالشعر ما خاطب العقل ودغدغ العاطفة والوجدان معاً ، والشعر أيضـاً ما كان قادراً على البـقاء، ومقاومة الزمان لقيمة يشيـعها أو مكارم اخـلاق يحث عليـها .. وقد قيل مـن لا يترك أثراً ، لا تبقى له ذكرى .

فكـم هم الشعـراء الذين خـلدهم شـعرهم وخلـدوا به غيـرهم بالسيرة الحسنة والذكر الجميل ، والسبك المتقن والمعنى العميق.

وكما يلاحظ القـارئ فانني لم أحبذ فيما قـلته وأوردته من نماذج شكـلاً معينـاً مـن أشكال الشعـر ، بل إن ما كان يهـمني هو ما تحملـه الكلمات من صـور بديـعة ومعان نبيلة ومـا تقدمه للقارئ من قيـم أخلاقية ومبادئ سلوكية تؤكد إنـسانية الإنسان وتحثه عليها وتذكره بها .





من الشعر الحـــر

من الشعــر الحــر

(جناح كسير)

بالأمس كنت أسير ..
جوار غدير ..
لاح لي طير صغير ..
لا يطير .. !
لكنه كان يسير
بخوف المستجير
بصمت الأسير ..
نهرته .. ليطير
لكنه أبى ..
إلا أن يسير .. قرب الغدير
غير عابئ بالنذير ..
أدهشني هذا الصغير
وتساءلت .. لم لا يطير ؟

أهناك أمر خطير ؟
أم شر مستطير ؟
وهنا رفعت الصغير
فوجدت جناحه كسير .

هذه كانت أول محاولة في كتابة ما يسمى بالشعر الحر نشرت في مجلة (الدفاع) العدد (التاسع) رجب ١٣٨٥ هـ / نوفمبر ١٩٦٥م. رغم الخلل الواضح في وزنها.

نماذج من الناس



عبيدٌ لسلوكياتهم التي طبعوا عليها، ولعل من أبرز النماذج البشرية وأكثرها وضوحاً وحركة على مسرح الحياة ، هذه النماذج التي تمثل المفارقة في السلوك والتضاد في الاتجاه والتي سأحاول هنا إبراز أهم معالمها السلوكية فيما يتعلق بحب المال والحياة بين كريم مفرط ومعتدل حريص وبخيل مقتّر .. طبائع وخصال تجسدها لنا النماذج البشرية التالية :-

-١-

صديق قديم عرفته منذ عشرين عاماً تقريباً ، لم يكن أبدًا بخيلاً كما لم يكن أبدًا كريماً بالمعنى الدقيق والمصطلح الظاهر المتعارف عليه لهاتين الصفتين المتناقضتين .

كان يتحرك في تعامله مع الاخرين في هذه المسألة من منطقة وسط بين البخل والكرم يمكن تسميتها (الاعتدال) فهو بخيل أو بالأحرى حريص عندما لا يكون هناك داعٍ للكرم

بمقياس السلوك الحاتمي المتطرف وكريماً عندما يكون البخل مرفوضاً في تقدير الواجب والملزم عرفاً في نظر ومفهوم المجتمع والعادات العربية السائدة فية ، متمثلاً في سلوكه هذا بالآية الكريمة ﴿وَلاَ تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةَ إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَّحسُرًا﴾(١).

لم يكن من أولئك الذين يقتحمون المجهول أو يغامرون بالدخول مع الزمن في سباق.

لم يسع يوماً أن يكون من أرباب الشعارات البراقة والوجاهة ، أو أن يضع نفسه في دائرة الضوء عن طريق ممارسات غير مشروعة وسلوكيات لاتتفق مع ما جبل عليه ، مع أنه يملك القدرة على ذلك لو أراد ، لذلك بقي حيث اختار . يرسم خطواته بعناية ويحسب لكل شيء حسابه قبل فعله أو الإقدام عليه.

يخشى الفشل لذلك لم يتعرض للسقوط لأنه يتجنب الاندفاع غير محسوب العواقب والمسافة والأبعاد.

كان يمثل بسلوكه هذا النموذج الأمثل للمعنى الحقيقي للوسطية التي يجسدها الإعتدال وعدم تجاوز حدود المعقول.

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٢٩.

-٢-

هو واحد من أولئك الذين التقيت بهم في زحمة الحياة وكأني كنت على موعد معه ، لم يمض طويل وقت حتى وجدتني أنجذب إليه وأتمسك به لا من أجل غاية أو هدف .. لكنه الإعجاب بصفاته وأسلوب حياته.

ميسور الحال كثير العيال ينفق كثيراً على أوجه الخير وميادين البر والاحسان يمد يده في ظلمة الليل لمن يعرف أحوالهم ويسبر أغوارهم ويلمس عوزهم وحاجتهم ، انه ينفق عن سعةٍ واقتدار ، لكنه يوازن بين دخله ومصروفاته ليحافظ على توازنه ومكانته بحيث لا يطغى شيء على شيء .. وبهذا الأسلوب العاقل والتصرف الحكيم عُرف بالكريم الذي لا يعطي إلا مستحقاً ولا يشفق إلا على فقير.

إنه أشبه ما يكون بالمزارع الذي لا يستصلح إلا أرضاً خصبة التربة وافرة المياه.

-٣-

إنه ذلك الصنف من الناس الذي نحس بوجوده بيننا لتصرفاته غير المحسوبة وتجاوزاته التي تفوق امكانياته وقدراته .. وربما لأسلوبه الخاطيء في التعامل مع متطلبات آماله وطموحاته .

إنه كريم الطبع عربي السجايا صاحب أريحية ونخوة ، محب للخير ومساعدة الآخرين والوقوف إلى جانبهم ، وشد أزرهم ومواساتهم في محنهم وأتراحهم . صفات إيمانية وخصائص إنسانية لا غبار عليها ولا تساؤل حولها ، لكنه في الجانب التطبيقي لها لا يحسن التصرف.

إنه لا يملك المال بالقدر الذي يلبي احتياجاته ، ويرضي طموحاته ورغباته ، لذلك يلجأ إلى الحيل المشروعة يستدين من هذا ليقرض ذاك ، ويأخذ من هذا ليعطي آخر دون معرفته لقيمة ما أخذ وأعطى ، لذلك وللحصول على المزيد نراه أبداً في حركة دائبة وسعي حثيث مشمراً عن ساعديه مطلقاً للريح ساقيه لا يستقر في مكان ولا يهدأ له بال ، تطارده المشاكل وتؤرقه مطالب الدائنين .. فهو يسيء إلى نفسه في سبيل الإحسان إلى الآخرين.

-٤-

بدأ تاجراً برأس مالٍ صغير شأنه في ذلك شأن أولئك التجار المتواضعين أمثاله ، لم يكن يتميز عنهم بشيء إلا أنه كان قوي العزم ذرب اللسان يخطف الفريسة من بين أنياب الأسد كما يقولون لفرط ذكاءه وسعة حيلته ودرايته بأسلوب التعامل مع الآخرين ، لذلك تجاوزهم بمسافة لم تبعده عنهم كثيراً .. ظل قريباً منهم يعيش بينهم، يحضر مناسباتهم ويخلق المناسبات ليجتمع بهم. أحبهم وأحبوه، نمت تجارته وازدهرت زراعته ، انتقل إلى سوق آخر أكثر حركة وأسرع ربحاً، لذلك شُغل عنهم بماله وعياله .

أصبحوا لا يرونه إلا لماماً ، وحتى لا يفرطوا به أو يفقدوه كرفيق درب وشريك مسيرة ، كانوا يكتفون منه بإشارة من يده أو إيماءة من رأسه يرسلها إليهم عندما يرونه وهو ذاهب إلى مكتبه أو عائد منه ، لكنه لم يلبث أن رحل عنهم ليسكن في حي راقٍ .. لذلك انقطعت أخباره عنهم، لم يعودوا يرونه أو يسمعوا عنه شيئاً .. إلى أن رآه أحدهم يوماً في عيادة طبية كان يشكو من بعض آلام مبرحة في معدته وصداع يؤرقه ويحرمه لذة النوم كما قال .

وحين سأله محدثه مشفقاً عليه ، عن أسباب ذلك قال : إنهما السُكر وارتفاع الضغط وهما نتيجة طبيعية للإرهاق وكثرة التفكير كما قال لي الطبيب ... ثم أردف قائلاً : وكجزء هام من العلاج نصحني الطبيب بالخلود للراحة ، والابتعاد عن هموم الحياة ، لكن قل لي بربك كيف لي ذلك وأنا متواجد في السوق موزع عليه ؟ !

لكنه وبصوت ضعيف أردف قائلاً : ومع ذلك لابد لي من الانصياع لتعليمات الطبيب والالتزام بها حفاظاً على ما تبقى من صحة قبل فوات الأوان .. فقد ضحيت بما فيه الكفاية وبعت الغالي بالرخيص، لكنها العاصفة التي لم أستطع مقاومتها والتي ما زال الكثيرون بداخلها .

-٥-

إنه أحد البخلاء في عرف المجتمع العربي الذي طبع على الكرم ويراه من أبرز خصاله وصفاته ومصدر افتخاره واعتزازه بين الشعوب الأخرى .. لكن صاحبنا له فلسفة عجيبة وتفسير مستحدث في تعريف البخل .. مقسماً إياه إلى ثلاث فئات تتباين في سلوكها وطبيعة نظرتها إلى المال وأسلوب تعاملها معه .

ومع أنه لم يأت بجديد، إذ أن البخل هو البخل وإن اختلفت ألوانه وتعددت صوره وأشكاله، ومع ذلك دعونا نرى ماذا تقول فلسفته تلك لمعرفة وجهة نظره على الأقل فهو يرى أن البخل ، وهو إمساك المال والحفاظ عليه وقاية لصاحبه وصون له من مذلة السؤال.

فالبخيل إذًا في نظره هو من اغتنى بماله، وإن شحّ به على الآخرين، والمقتر هو من ضيّق على نفسه وأهل بيته . والفئة الأخيرة وهي الأشد يجسدها ذلك البخيل المقبوضة يده والعياذ بالله عن ماله لا يمسه ولا ينفق منه ولو على نفسه، يتعامل معه كما لو كان مكلفاً به وصياً عليه، يحفظه ليتمتع به الآخرين من بعده، وقمة سعادته أن يرى هذا المال ينمو ويزدهر بين يديه ويتلذذ بعدّه وتفقده والنظر إليه، ومثل هذا البخيل في نظر فيلسوف البخلاء المعاصرين انسان مريض حرم من التمتع بماله والانتفاع به لذلك فإنه يستحق الرحمة والدعاء له والعطف عليه والعمل على معالجته لتخليصه من سيطرة قرين السوء الذي يتلبسه ويوحي إليه بالإمساك وعدم الإنفاق .

إنها وجهة نظر بخيل لا يُخْفي بخله ولا يتكتم عليه معتمداً على فلسفته المادية، مع أن ذلك يتنافى مع الأخلاق

الإنسانية والإسلامية التي تؤكد أن للفقير والمحتاج حق في مال الغني والمقتدر.

فقد قال الله تعالى ﴿وَفِي أَموَالِهِم حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[سورة الذاريات الآية رقم ٢٩]. وقال عز من قائل: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران الآية رقم ٩٢].

-٦-

موظف عاصر عدداً من الرؤساء الذين تعاقبوا على رئاسة الإدارة التي يعمل فيها في وظيفة قريبة جداً من رئيس الإدارة .. دون أن يفكر أي منهم في استبداله بآخر، ولعلنا لو تساءلنا كيف تسنى لهذا الموظف أن يبقى في وظيفته هذه والإحتفاظ بها طيلة هذه المدة، وينجح في التعامل مع كل واحدٍ منهم ونيل رضاه، مع إختلاف أساليبهم الادارية وتباين أهوائهم وطباعهم، لأدركنا أن ذلك ما كان ليتحقق لو لم يكن هذا الموظف منتظماً في عمله محباً له حريصاً عليه مستقيماً في ذاته صادق القول والنصيحة يتمتع بذكاء وقدرة

إدارية وحصافة في التعامل مع الآخرين وسرعة التكيف مع ما يطرأ حوله بما لا يخل بتوازنه أو يغير في قناعته ومبادئه .. إنه بحق يمثل الموظف المثالي والنموذج الذي يحتذى .

-٧-

قد يكون مطلعاً ملماً بأطراف أشياء كثيرة، لكنه غير متعمق بها أو متخصص فيها، فتراه عندما يجلس في مجلس عام أو ندوة خاصة، يصول ويجول، يهرف بما لا يعرف .. ينتقد هذا ويقلل من شأن ذاك .. مطلقاً لغروره العنان متربعاً على كرسي المعارضة، لا يقيم (للرأي الآخر) وزناً ولا يحترم له فكراً .

عندما يجد نفسه في زاوية ضيقة وضعه فيها أحدهم من ذوي العلم والمعرفة، يلجأ للخروج منها برفع صوته بما لا يفهم، مستنجداً بلفافة تبغ دائمة الاشتعال لا تكاد تفارق فمه.

الجالس معه يفقد اتزانه النفسي، لكنه يزداد معرفة بهؤلاء الذين يستترون خلف قشور لا تخفي ما تحتها من زيف وإدعاء.

-٨-

يقيم في مدينة أخرى .. قليل الاتصال ببعض أفراد اسرته الأقربين، ليس في المناسبات العامة كالأعياد وحسب، وإنما في أحلك الظروف وأكثرها حساسية .

وعندما يسأل عن ذلك أو يعاتب عليه، يقول مبرراً تقصيره هذا: إنه لا يملك امكانية الاتصال خارج مدينته، لأن هاتفه لا يوجد به (صفر) .

عجباً والله !! .. عذر أقبح من فعل وتبرير واهٍ غير مقبول .. كيف لا وهو بإمكانه بالتأكيد لو رغب في ذلك أن يجري الإتصال بمن يشاء ومتى يشاء من خارج منزله ؟ فوسائل الإتصال الهاتفي منتشرة في مدينته هنا وهناك ، ربما بعضها لا يبعد عنه كثيراً .

لا عتب عليه فيما يتعلق بوجود صفر في هاتفه من عدمه، فقد يتعمد إنسان إستبعاد تلك الإمكانية عن هاتفه الخاص لأسباب تعود إليه أو منعاً للإحراج الذي قد يواجهه هو وأهله مع بعض الأصدقاء والزوار، لكن ذلك لا يعفيه من القيام بما عليه من واجب أدبي تجاه الآخرين، ناهيك عن الأهل وذوي القربى، عملاً بما يوصينا به الحديث الشريف عن

صلة الرحم: عن أنسٍ رضي الله عنه قال: أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَه فـي رِزِقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ فـي أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رحِمَهُ». متفق عليه(١).

-٩-

عندما تكون مسؤلاً يبرز أمامك صنفان من بين مرؤسيك لكل منهما أسلوبه وطريقته في التعامل معك فلا تعجب.

صنف تجده دوماً حولك ملازماً لك كظلك لا يكاد يفارقك ما دامت شمسك مشرقة ونجمك ساطعاً، يلبي طلباتك ويستجيب لرغباتك، غير مبالٍ بما يمكن أن يقال عنه أو يشاع حوله.

وصنف آخر على النقيض من ذلك يتقي الشبهات التي لا مبرر لها لذلك، لا تكاد تراه إلا فيما تفرضه عليه ظروف العمل، لكنه وبمبادرة منه يظهر في حياتك ويطفو على سطح اهتمامك عندما يختفي الأول بغروب شمسك ليدور في فلك الفارس الجديد الذي اعتلى كرسي الرئاسة.

فهل هي معادلة لحفظ التوازن أم هو خلل في السلوك وتباين في الطباع ؟؟ .

(١) يُنسأَ لَهُ في أثرِه: أي: يُؤَخَّر له في أجلِه وعُمُرِه.



إنه صاحب فلسفة اجتماعية ذات بعد استراتيجي تقوم على مبدأ إتساع دائرة علاقته بالآخرين وصداقته معهم لتشمل شرائح المجتمع كافة، لا فرق عنده بين فئة وأخرى، لايختار بينهم ولا يفاضل؛ كلهم عنده سواسيه.

وهو تبعاً لفلسفته تلك يعتقد أن الإكثار من المعارف والأصدقاء – بصرف النظر عن نوعياتهم واختلاف مشاربهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية والوظيفية – هم كما تؤكد تجربته في الحياة الرصيد الأكثر ضماناً والمعين الذي لاينضب.

فالصديق الذي لا ينفع اليوم قد ينفع غداً، والصغير يكبر، والمغمور قد يطفو على سطح الحياة ويصبح علماً مرموقاً؛ لذلك فهو لا يستصغر أحداً ولا يحقره .. الكل في نظره وميزان تقديره ذو قيمة وشأن إذا لم يكن اليوم فغداً.

فالصداقة عنده مؤسسة اقتصادية يعمل على تنميتها وازدهارها، وزراعة في أرض خصبة سيقطف ثمارها في موسم الحصاد .

-١١-

إنه النموذج الأكثر غرابة بين النماذج السابقة، فإذا كانت السادية في مفهومها العام هي نزعة دموية، دوافعها عقد نفسية، وغاية من يمارسها هي الاستمتاع بايلام الآخرين أو مشاهدتهم وهم يتعذبون، فإن الحصول على هذه المتعة وتحقيق تلك الغاية تختلف من شخص لآخر.

فمنهم من يتلذذ بممارسة ذلك مع الآخرين بنفسه، ومنهم من يعشق العراك الجسدي الدامي بين إنسان وآخر كالمصارعة والملاكمة، أو تلك التي بين الإنسان والحيوان كمصارعة الثيران التي غالباً ما يكون المنتصر فيها هو الإنسان، أو ما يجري بين الحيوانات نفسها كالاقتتال بين الديوك التي يقوم الإنسان بإثارتها ضد بعضها البعض ليشبع نزعته الدموية، وعقده النفسية.

لكن صاحبنا لا يميل بطبعه لمشاهدة مثل هذه الصراعات الدموية ولأنه صاحب فكر نراه – لإرضاء ساديته المكبوتة تلك – يقوم بتنظيم لقاءات فكرية وحوارات ثقافية في منزله، يتعمد في اختيار روادها أن يكونوا من ذوي المذاهب

الفكرية المتباينة مكتفياً فقط بإثارة إحدى القضايا التي يعرف أنها (محل خلاف)، فينتج عن مناقشتها تصادم ومواجهة كلامية بين المنتمين لهذه الأفكار أو تلك ... حينئذ نراه يلوذ بصمته غير بعيد عنهم يرقبهم متلذذاً بعراكهم منتصراً بخلافاتهم وكأنه يشاهد عرضاً مسرحياً طالما انتظره ... وربما يكون أكثر استمتاعاً إذا ما قُدِر لتلك المواجهات الكلامية أن تمتد إلى اشتباك بالأيدي حتى ولو أدى ذلك إلى العبث ببعض أثاث منزله ... فهل هي سادية فكرية ؟؟!!

-١٢-

إنه دائم التشكي والتضجر من أعباء الحياة وثقل همومها عليه. حين يحدثك عن نفسه وهو غالباً لا يتحدث إلا عنها.

لا يظهر لك سوى الجانب المظلم منها، لم أسمعه يوماً يبدي رضاه عن حاله، لم أره إلا مقطب الجبين عابس المحيا يشكو حظه وقلة حيلته، وعندما تبحث في حياته عن أسباب لهذه المعاناة وتلك الشكوى لا تجد سبباً مقنعاً يدعوه إلى ذلك فهو مقارنة بأمثاله في المجتمع أحسن حالاً منهم واوفر حظاً، لكنه ضعف الإيمان وعدم القدرة على الشكر والاقتناع بما أعطاه الله.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ولأن شكرتم لأزيدنكم﴾.[سورة إبراهيم، الآية٧].



البحث عن الطاسة

دخل

إلى المكتب وعلامات الغضب بادية عليه، ودون مقدمات:

قال : (مافيش فايده يا أخي كما يقولون في مصر، وإن شئت فقل الطاسة ضائعة كما يقولون في نجد وفي غيرها).

قلت : ليكن هذا أو ذاك فالمعنى واحد، ولكن ما هو الداعي لكل هذا ؟!

قال : لم يعد الزمان هو الزمان ، لقد تبدل الناس وتغيرت أحوالهم ولم يعد الموظف يهتم بعمله ويحس بإحساس الآخرين .

قلت : هل هذا مدخل لمحاضرة تنوي إلقاءها في معهد الإدارة؟

قال : لا .. الموظفون يعرفون ما لهم وما عليهم .

قلت : إذًا ما الأمر الذي أثار غضبك ؟

قال : هو افتقار بعض الموظفين للإحساس الحقيقي بأهمية عملهم وأن هناك طرفاً أو أطرافاً أخرى لها علاقة مباشرة بما بين يديهم من أعمال .

قلت : وهل هناك من لا يدرك هذا ؟

قال : للأسف الشديد هناك من لا يهتم بهذا .

قلت : لكنك لم تقل لي ما هي العاصفة التي أثارت رمال غضبك.

قال : تصور يا أخي أنني وطيلة عشرة أيام وأنا فيما يشبه المطاردة لأحد الموظفين في إحدى الدوائر لأعرف منه ما تم بشأن موضوع يهمني أحيل إليه لكني مع ذلك لم أوفق في العثور عليه .. تارة يقولون هنا وتارة يقولون هناك .

قلت : إذاً هو في حكم المفقود .

قال : لا ليس الأمر كذلك ، لكنه يتجنب لقاء المراجعين .

قلت : ألا يجوز أن تكون طبيعة عمله تتطلب منه ذلك ؟

قال : ربما .

قلت : وهل الموضوع يتطلب منك كل هذا الاهتمام ؟

قال : نعم وحتى المطاردة أيضاً .

قلت : هذا اهتمامك أنت بطبيعة الحال، وهل ما يهمك يهم الآخرين بالدرجة نفسها .

قال : لا، ولكن أليس من حقي متابعة ما يهمني ؟

قلت : من حقك بالتأكيد كما هو حقٌ لغيرك أيضاً ولكن ألا يصل إلى حد المطاردة كما قلت .

قال : إني أدرك ذلك ،ولا أقصد المطاردة على النحو الذي كان يفعله مفتش المباحث شارلوك هولمز في ملاحقة اللص الفرنسي الظريف آرسين لوبين في شوارع نيويورك ولندن وباريس كما جاء في رواياته .

قلت : ما دام الأمر هكذا فعليك اقتفاء أثره والتفتيش عنه حتى تعثر عليه .

قال : هذا ما سأفعله بكل عزم وتصميم .

قلت : بالتصميم ستعثر على ضالتك وتصل إلى هدفك لكنك لم تخبرني ما قصة الطاسة الضائعة ؟

قال : لا أدري شيئاً عن قصتها فلها في كل بلد قصة،

لكنها رمز إلى الفوضى وفقدان المسئولية .

قلت : هذا ما أفهمه أنا أيضاً عنها، لكني لم أفكر هل لهذا القول أصل كسائر الأمثال العربية الأخرى أم أنه قول تداولته الألسنة وتعارف عليه الناس .

قال : ليكن مايكون فالطاسة ضائعة وعلينا أن نبحث عنها.

قلت : إفعل لعل التوفيق يقودك إليها، وإن أنت وجدتها فاغرف بها من ماء البحر فهي من مادة لا يؤثر فيها الملح ولا يعلوها الصدأ.

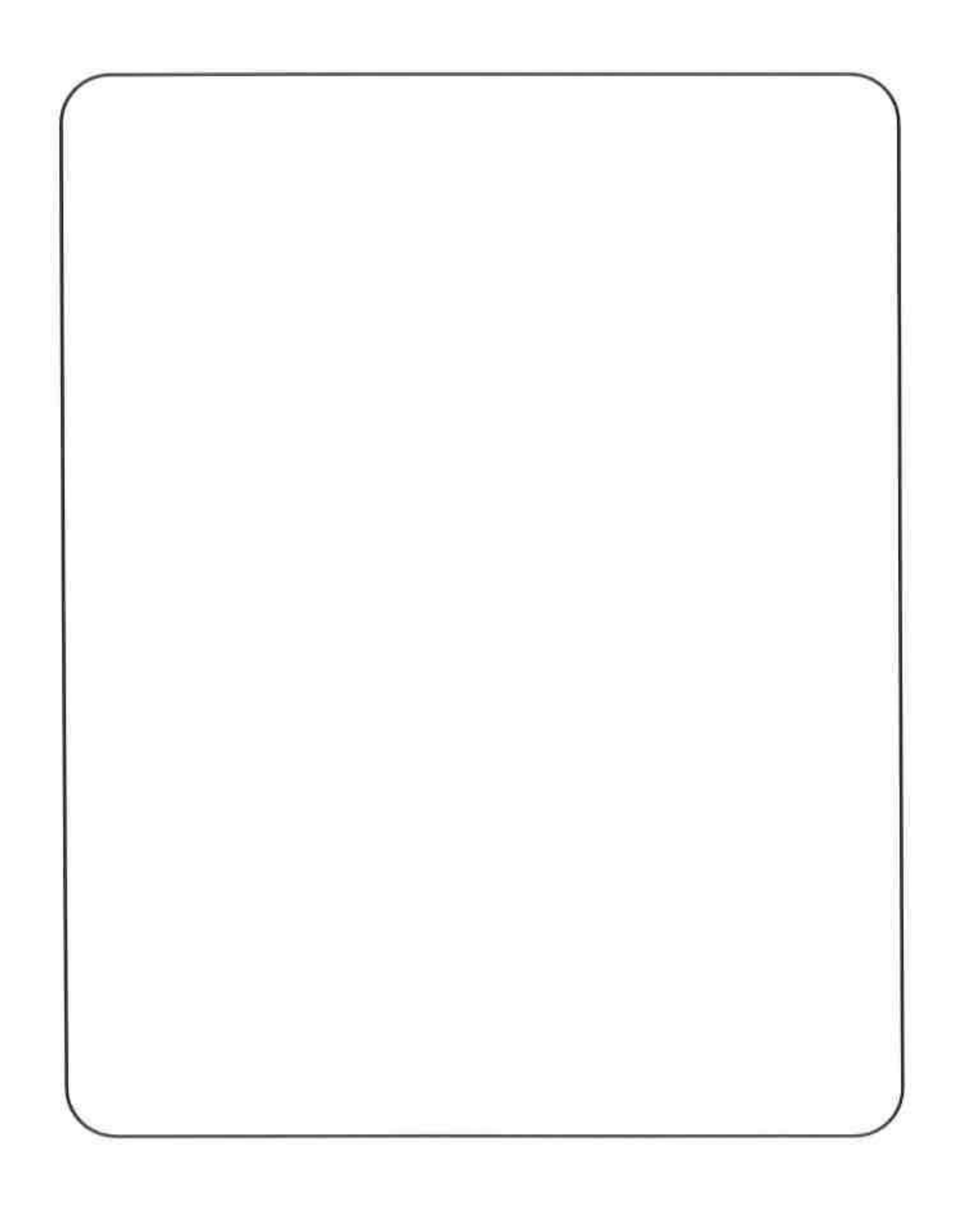
قال : إنك بهذا تسخر مني وتزيد من غضبي.

قلت : هون عليك يا صديقي فالغضب لا يفيد ولا ينفع.

قال : صدقت، ولكن لا بد للطاسة أن تعود للساقي .

قلت : الآن فهمت ما هي الطاسة وما يترتب على ضياعها.





عندما طردني الحكم

عندما طردني الحكم



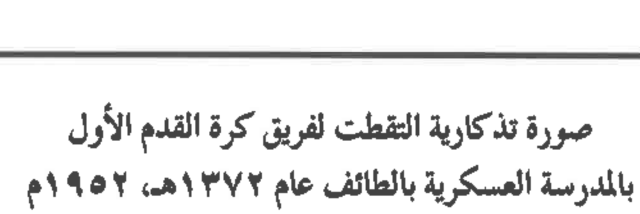
عام ١٣٧٢هـ كنت واحداً من الذين يشار إليهم بالبنان في لعبة كرة القدم بالمدرسة العسكرية في الطائف حيث كنت أحد أفراد الفريق الأول.

كانت تربطني بأحد الزملاء صداقة متينة يضرب بها المثل بين الزملاء لقوتها ونقاوة تربتها ونبل أهدافها.

كلانا كان يهوى القراءة واقتناء الكتب والمجلات، إلا أنه لم يكن يميل بطبعه إلى ممارسة أي نوع من أنواع الرياضة وبخاصة كرة القدم ربما لخشونتها، لذلك كان تكوينه العضلي ضعيفاً قياساً ببعض الزملاء الذين كانوا كالخيول العربية الأصيلة.. يمارسون العدو والقفز بخفة ورشاقة يحسدون عليهما.

وتشاء القدرة الإلهية أن نلتقي، نحن الاثنين في ميدان كرة القدم كخصمين ضمن النشاطات الرياضية الالزامية.

وكما هو حال كرة القدم اليوم ينسى اللاعب في الميدان كل مشاعره الإنسانية السابقة مع الآخرين ، وينحصر تفكيره كله في ملاحقة الكرة وتخليصها لصالحه من بين قدمي اللاعب



صورة تذكارية التقطت لفريق كرة القدم الأول
بالمدرسة العسكرية بالطائف عام ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م

ويرى فيها الواقفون الثاني من اليمين محمد التركي، ناصر فراج، صالح الغفيلي، محمد شاهر، يوسف السلوم[1]، عبدالرحمن خورشيد، مشعان عايض، والجالسون من اليمين، محمد عبدالمعين، مصطفى شقير، طلال الحارثي، جزاء جوباح، محمد الجارالله، جلوي الدخيل، محمد الطاسان، طالب سعيد، عبدالله الشنقيطي وياسر الذيابي الروقي وحارسا المرمى من اليمين عبدالإله الخالدي وإبراهيم عوني.

(١) استمر في الخدمة - أحيل على التقاعد برتبة لواء - عين سفيراً في كينيا.

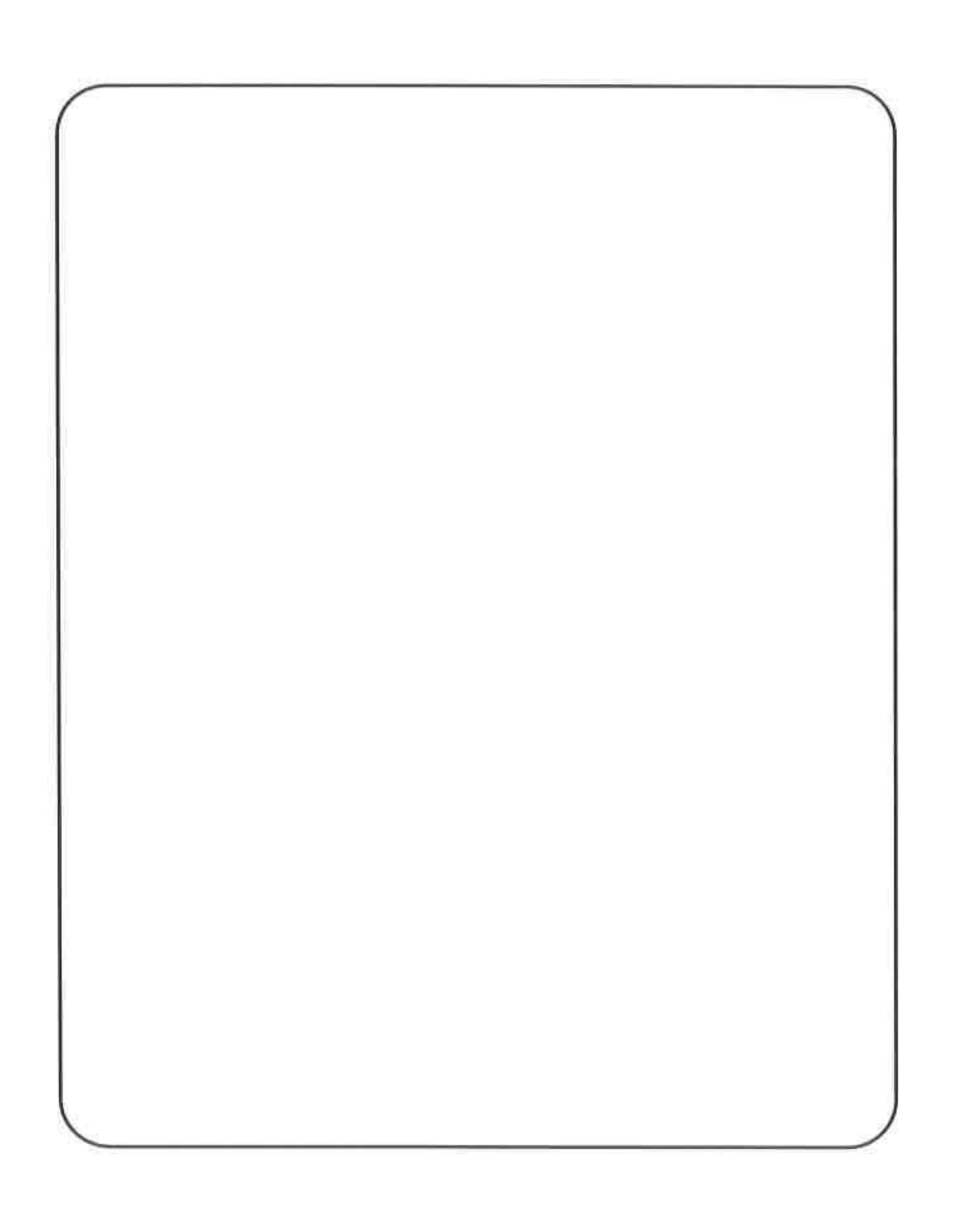
المنافس حتى لو أدى ذلك إلى إلحاق الأذى بنفسه أو بخصمه.

وهذا ما حدث معي فقد تعاملت مع الكرة واللاعب الذي أمامي بهذه الروح ودون أن أتبين ملامح اللاعب الذي يحاورني حصلت منه على الكرة بعد أن وقع على الأرض.

وانطلقت بالكرة صوب المرمى لم توقفني سوى صفارة الحكم ... وما أن التفت إلى الخلف حتى رأيت ما راعني ... فقد كان صديقي ملقى على الأرض والزملاء من حوله والحكم يشير إليّ بالخروج من الملعب مطروداً.

لكني اتجهت صوبه مستفسراً وقلبي يخفق خوفاً عليه ... وأصابني الفزع حين علمت أن يده اليمنى قد كُسرت نتيجة لسقوطه على الأرض .. وآلمني جداً أني كنت السبب في إصابته ، رغم أني لم أكن أقصد أن يصيبه سوء ، وزاد ألمي واستيائي أننا كنا على أبواب امتحانات نهاية العام الدراسي التي أداها ويده موضوعة في الجبس مستعيناً بأحد طلبة الفصل الأول في كتابة أجوبته على أسئلة الإمتحان.

ومنذ تلك الحادثة قطعت علاقتي نهائياً بكرة القدم، وإلا ربما أصبحت أحد المشاهير الذين تتسابق عليهم الأندية.



السيارة المشئومة

السيارة المشئومة



الأحداث رغم صغرها وعدم أهمية ما يترتب عليها، تبقى حية في الذاكرة لا تطغى عليها أحداث أكبر منها أو تمحوها ... ومثال ذلك ما سجلته الذاكرة منذ أكثر من أربعين عاماً .. حادث بسيط ما زالت تفاصيله ماثلة أمامي وملابساته محفورة في ذاكرتي كما لو كان قد حدث بالأمس القريب.

في عام ١٣٧٤هـ ، وكنت حديث التخرج، رحت أحقق أول رغبة كانت تراودني ... فاشتريت من أحد الزملاء سيارة نوع بويك مستعملة موديل ١٩٥٠ كان قد اشتراها في مزاد علني أقيم في جدة لبيع سيارات قديمة تابعة للكراج الملكي.

كان حريق قد شب في السيارة أتى على مقاعدها وكل ما بداخلها من جلد أو قماش .. ولأنه اشتراها كمشروع تجاري فقد عمل لها مقاعد، أما السقف، فلصعوبة تنجيده آنذاك أو ربما لارتفاع تكلفة عمله، فقد بقي عارياً شاهداً على حادث الحريق الذي حولها من الداخل إلى صاج أسود.

ولأن محركها كان جيداً ، فقد جاء بها إلى الطائف .. ولرخص ثمنها اشتريتها منه بمبلغ ألفين وخمسمائة ريال دفعت له نصف الثمن على أن يُدفع الباقي على أقساط بمعدل مئة ريال شهرياً.

ومن منزله الكائن في حي قروى إستلمت منه السيارة بعد اتمام إجراءات المبايعة، ولم أكن حينها قد حصلت على رخصة قيادة .. ومع ذلك قدتها متجهاً بها صوب حي الشرقية حيث كنت أسكن ، لكني توقفت في باب الريع وسط المدينة لشراء بعض لوازم البيت.

وعند عودتي إلى السيارة كان قد جلس خلفها بائع لبن زبادي واضعاً أمامه أواني صغيرة يقدر عددها بثلاثين آنية تقريباً داخل صحن كبير مرفوعاً عن الأرض على صفيحة (تنكه) والبائع يجلس خلفها على كرسي من الخشب.

ركبت السيارة وأدرت المحرك .. وبدلاً من أن تسير إلى الأمام رجعت إلى الخلف، فشعرت في الحال بأن شيئاً قد حدث عندما أحاط بالسيارة بعض باعة اللحوم والخضروات القريبين من المكان وبعض المارة.

نزلت من السيارة والعيون مصوبة نحوي لأجد بائع اللبن ملقى على الأرض وأواني الزبادي متناثرة فوقه وقد تكسر معظمها.

وأمام هذا المنظر الذي لم أكن أتوقعه وقفت مندهشاً لا أدري ماذا عليّ أن أفعل .. ولأن البائع لم يصب بأذى، ولله الحمد، ولبساطة الحياة في ذلك الوقت وتوفر حسن النية في النفوس، فقد انتهى الموضوع بالتدخل السريع من قبل الباعة الآخرين بأن دفعت قيمة الخسائر المادية التي قدرت بثلاثين ريالاً.

إتجهت إلى البيت مبتعداً عن وسط المدينة والشوارع المزدحمة خوفاً من التعرض لموقف آخر قد يكون أقسى، فليس في كل مره تسلم الجرّه، كما يقولون.

سارت الأمور على ما يرام إلى أن حل فصل الشتاء فتوقفت السيارة عن العمل ورفضت الاستيقاظ مبكراً.

ولأنني كنت أخرج من البيت في الصباح الباكر مرتدياً بدلتي العسكرية، فكنت لا أجد صعوبة في مساعدة المارة لي وبخاصة السقائين الذين كانوا يجلبون الماء للبيوت منذ الصباح الباكر بدفعها حتى يشتغل محركها ... ولكن عندما

أصبح الأمر بالنسبة لهم يكاد يكون عملاً يومياً يترتب على القيام به تعطيل لأعمالهم، فقد لاحظت أنهم بدأوا يسلكون شارعاً آخر.

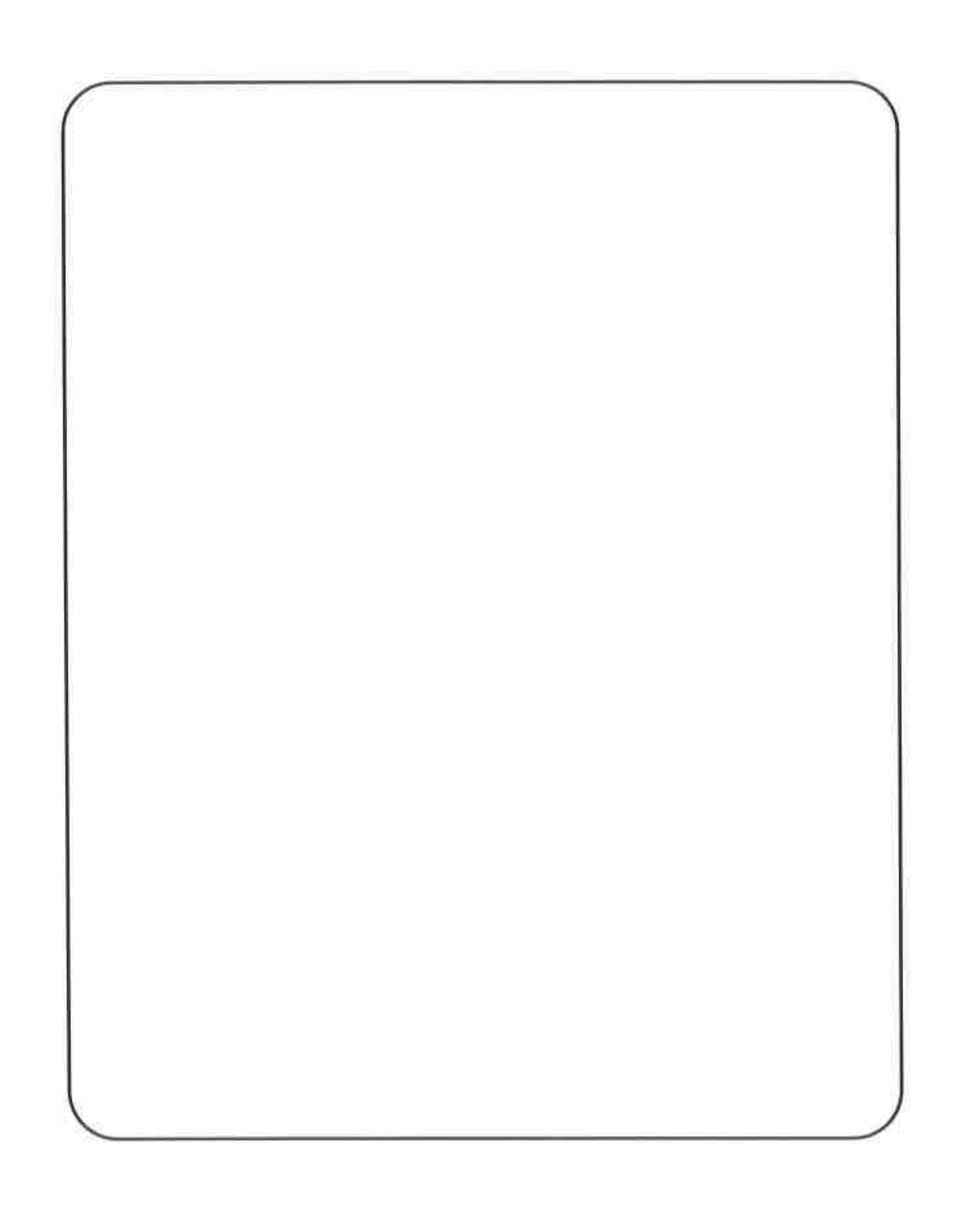
وللاعتماد على النفس قمت بمحاولة أخيرة لكنها كانت يائسة وغير موفقة فقد كونت تلاً من الرمل بجوار الباب كنت أوقف السيارة عليه ليلاً ظناً مني أن ذلك سيسهل إنحدارها صباحاً ويساعد محركها على الدوران، لكن ذلك لم يجد معها نفعاً.

ومن الأشياء التي بقدر ما ساءتني أضحكتني (**وشر البلية ما يضحك**)، أني وجدت أحدهم قد كتب على السيارة بالخط العريض (**شركة دفو**).

ونتيجة للضعف الذي أصابها وعدم قدرتها على مقاومة الشتاء القارس، فقد تأخرت عن حضور الطابور الصباحي عدة مرات، وتكررت الانذارات والجزاءات أيضاً من قبل قائد الوحدة، لذلك كان لابد من التخلص منها.

فاشتراها مني زميل آخر بنصف الثمن، لكنه لم يكن أحسن حظاً مني فقد كانت وراء نقله إلى وحدة أخرى وتأخر ترقيته لكثرة ما عوقب بسببها وما كتب بحقه من تقارير.

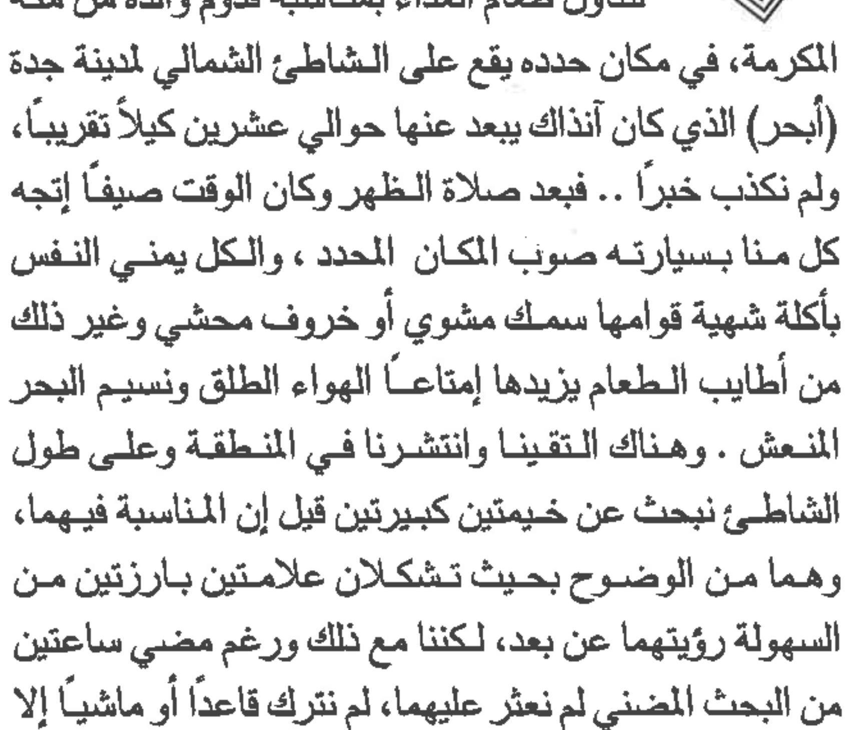




كذبة إبريل

كذبة إبريل

كان ذلك منذ أربعين عاماً تقريباً عندما اتصل بي أحد زملاء العمل صباحاً ليدعوني وبعض الزملاء باسم زميل آخر يعمل في إدارة أخرى لتناول طعام الغداء بمناسبة قدوم والده من مكة



المكرمة، في مكان حدده يقع على الشاطئ الشمالي لمدينة جدة (أبحر) الذي كان آنذاك يبعد عنها حوالي عشرين كيلاً تقريباً، ولم نكذب خبراً .. فبعد صلاة الظهر وكان الوقت صيفاً إتجه كل منا بسيارته صوب المكان المحدد ، والكل يمني النفس بأكلة شهية قوامها سمك مشوي أو خروف محشي وغير ذلك من أطايب الطعام يزيدها إمتاعاً الهواء الطلق ونسيم البحر المنعش . وهناك التقينا وانتشرنا في المنطقة وعلى طول الشاطئ نبحث عن خيمتين كبيرتين قيل إن المناسبة فيهما، وهما من الوضوح بحيث تشكلان علامتين بارزتين من السهولة رؤيتهما عن بعد، لكننا مع ذلك ورغم مضي ساعتين من البحث المضني لم نعثر عليهما، لم نترك قاعداً أو ماشياً إلا سألناه، لكن دون جدوى.

ولم يفت هذا في عضدنا أو يضعف من عزمنا وتصميمنا أو يصيبنا باليأس والقنوط ، بل كان عنادنا أشد ورغبتنا أقوى واستعدادنا أكثر لمواجهة التحدى ، فأخذنا نذرع الشاطئ طولاً وعرضاً بحثاً عن هاتين الخيمتين اللتين لو كانتا بيضتين لعثرنا عليهما.

لكن أكثر ما كان يشغل بالنا الموقف الحرج الذي تسببنا به لزميلنا الكريم نظراً لتأخرنا حيث أصبحت الساعة الثالثة ظهراً ونحن بين مقبل ومدبر يظن من يرانا على هذا الحال أننا من مفتشي قسم التعديات في بلدية جدة ومع ذلك لم نتوقف عن البحث إعتقاداً منا أنه ربما كان هناك سوء فهم أو خطأ في العنوان.

ربما جاء هذا الاعتقاد من قبيل مواساة النفس وتخفيف الصدمة علينا ، لكننا أخيراً وبعد أن بلغ منا اليأس مبلغه وأصابنا بالدوار وزغللة في العيون وجفاف في الحلق وخيبة في الأمل وفشل ذريع في العثور على الموقع ، إلى جانب ما نالنا من الجوع والعطش حيث لم نكن نتوقع شيئاً مما حدث وإلا لاتخذنا للأمر عدته ولم يكن (أبحر) آنذاك عامراً بالفنادق

والمنتزهات كحاله اليوم ، لذلك عدنا أدراجنا ونحن نكاد نتميز من الغيظ وننفجر من الغضب بعد أن أدركنا أن الأمر لا يعدو أن يكون مقلباً سخيفاً ، كيف لا وقد شعرنا بالإهانة المتعمدة وبصورة حقيرة غير مؤدبة لا يلجأ إليها إلا إنسان لا يحترم الآخرين ولا يقدر العواقب وإلا لما تجرأ علينا بتلك البدعة السخيفة ، ولا شك أن ما من واحدٍ منا إلا وسأل نفسه وهو في طريقه إلى منزله ماذا سيقول لأهله عندما يعود إليهم ويطلب طعاماً وهو قادم من وليمة غنية بالفسفور والبروتينات.

وإمعاناً من صاحبنا في أكذوبته وتأكيداً منه على سخفه وسفاهته تلقى كل منا في صباح اليوم التالي تهنئة خطية بتوقيعه تقول:

كل ابريل وانت بخير تعيش وتاكل غيرها

وهكذا كنا ضحية المزاح السخيف والمداعبة الثقيلة والكذبة البيضاء كما يحلو لهؤلاء تسميتها مع أن الكذب مرفوض بكل أشكاله وألوانه وصوره وأوزانه .. إنها إحدى السيئات التي أخذناها عن الآخرين ، لكننا طورنا فيها إلى الأسوأ بصورة لو روجع الأصل من قبل من ابتكرها واشاعها

لحاكمنا وفرض علينا دفع غرامة نظير الاعتداء على حقوق الابتكار وتشويهه والإساءة إليه.

لم تنته القصة بعد ، ولأن العربي لا ينسى الإساءة فقد قام أحد أولئك الزملاء الذين عاشوا ذلك اليوم القائظ في يوم القائظ باستدراج صاحبنا بعد أن نسى فعلته وأخذه معه بالسيارة إلى أبعد من ذلك المكان ليريه قطعة أرض تطل على البحر معروضة للبيع بسعر مغري بسبب ظروف عائلية لصاحبها تدعوه إلى بيعها.

وفي حمأة شمس الظهيرة المحرقة ، أخذ صاحبنا بعد أن هبط من السيارة يلف حول الأرض التي أشار إليها زميلنا يقيس أطوالها ويفحص نسبة الملوحة فيها .. وفي غفلة منه أدار زميلنا محرك السيارة منطلقاً بها إلى جدة تاركاً صاحبنا واقفاً ينظر إليه وهو بين مكذب ومصدق .. وزميلنا يلوح له بيده مودعاً إياه مرسلاً له على الهواء رسالة يقول له فيها العقاب من جنس العمل والبادئ أظلم.

وفي اليوم التالي علمنا أنه لم يصل إلى بيته إلا متأخراً وقد أخذ منه التعب كل مأخذ نظراً لأن منطقة الأرض المعروضة للبيع بعيدة عن الطريق العام مما أضطره للسير

على الأقدام مسافة خمسة كيلومترات كافية ليتذكر خلالها المناسبة التي سبق ودعانا إليها.

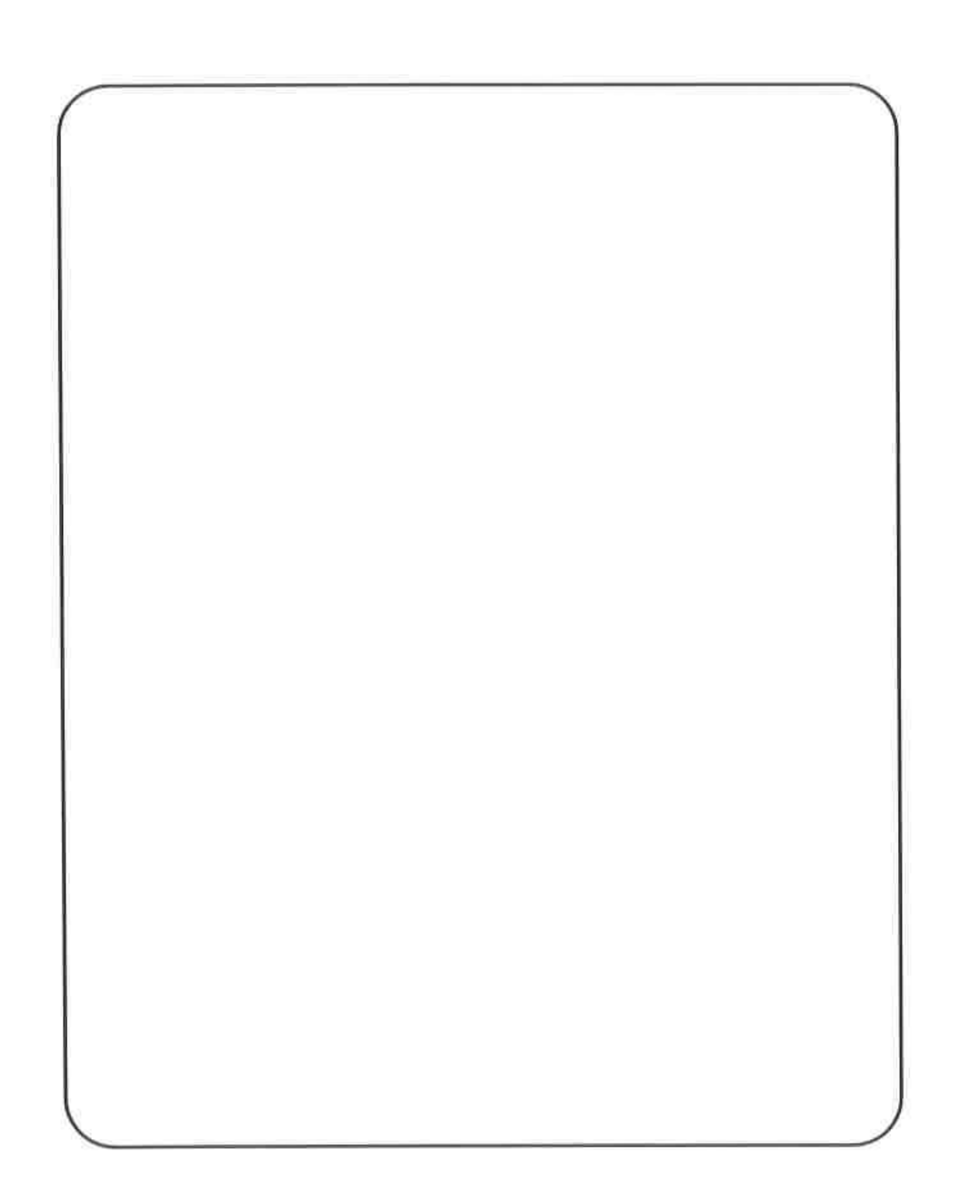
وفي اليوم التالي وجد في مكتبه ورقة مكتوباً عليها :-

واحدة بواحدة وإن عدت عدنا

فلان

عن : الزملاء





عندما مات الكلب

عندما مات الكلب



عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م كنت أدرس اللغة الإنجليزية في مدرسة (بل) بمدينة كيمبردج التي تبعد عن لندن حوالي ستين كيلاً ، وكان لدى الأسرة الإنجليزية التي كنت أعيش معها كلبٌ قبيح الصورة طويل الشعر لا يشجع منظره على مداعبته أو التقرب إليه، ومع ذلك كان مدللاً يغدق عليه رب الأسرة وزوجته بكرم وسخاء وينال من العناية والاهتمام منهما أكثر مما يناله أصغر أولادهما ، فكانا حريصين على تغذيته في أوقات محدّدة ، والقيام بتنظيفه جسدياً ومراعاته نفسياً ، وحتى لا يشعر بالملل أو يصاب بحالة اكتئاب يقوم احدهما كل يوم بأخذه إلى الحديقة المجاورة للنزهة واللعب مع أقرانه ساعة أو بعض الساعة، ولا ينسى وهو عائد به إلى البيت أن يحضر معه علبة لحم من النوع الذي يفضله كلبه العزيز ، وإذا شعر باحتقان فإنه يوقفه تحت أقرب عمود كهرباء لقضاء حاجته، ومع أن الطعام يقدم له أولاً وحتى لا

يجلس وحيداً كان يحضر تناولنا الطعام وهو ينظر إلي بصمت وبكراهية وحقد ظاهرين على محياه، مع أنني حاولت مراراً عقد صداقة معه وكسب مودته لكنني لم أفلح ، ربما أنه يدرك أن العرب غير مرغوب فيهم هناك ، الكل كان يغار منه ولا يرتاح إليه ما عدا خادميه رب الأسرة وزوجته المولعين بحبه والخوف عليه فتراهما كي لا يكون نهباً للأفكار والوساوس يوزعان عليه الابتسامات بين الفينه والأخرى وهو يبادلهما إياها بتكشيرة تكشف عن أنيابه الحادة.

وفي مساء أحد الأيام، كنت عائداً إلى البيت الذي ما إن دلفت إليه، حتى شعرت بأن شيئاً غير عادي قد حدث .. الصمت مطبق عليه فلا تلفزيون ولا نباح ، فيما ربة البيت لاتجلس في مكانها المعتاد الذي تلاعب فيه صغيرها ، أما الزوج فلم يكن كعادته في قاعة التلفزيون.

وقفت في مدخل البيت حائراً، لا أدري ماذا علي أن أفعل، وقبل أن أتجه صوب غرفتي .. إذا بالزوجة تخرج من المطبخ وعيناها حمراوان، تنهمر منهما الدموع الساخنة، وهي تكلمني بكلام لم أدركه كله .. إلا أنني فهمت منه أن جون -

وهو اسم الكلب – مات فجأة فزادت حيرتي ، وظهر عليّ الإرتباك فقد كان موقفاً حزيناً من نوع جديد، لا أدري كيف أواجهه أو أتصرف حياله، فتلفظت ببضع كلمات أجزم أنها لم تفهم منها شيئاً ، واتجهت إلى غرفة الجلوس حيث وجدت الزوج واضعاً رأسه بين كفيه، وعينيه مغرورقتين بالدموع وهو ينظر إلى الكلب المسجى أمامه بحزن شديد وألم بالغ ، وحتى لا أقع تحت تأثير موقفهم العاطفي، ومشاطرتهم أحزانهم في مصابهم الجلل !! انصرفت عنه خشية أن يطلب مني المشاركة في نعيه ودفنه الذي سيتم في حديقة المنزل كما فهمت منه ، هونت عليه الأمر بأن هذه هي حال الدنيا، وخرجت من عنده تاركاً إياه غارقاً في حزنه، على صديق عمره الوفي كما كان يقول عنه دائماً. خرجت وأنا أتعجب من أمر هؤلاء القوم ومن عواطفهم غير المتزنة، وانسانيتهم غير المتوازنة فتراهم يعطفون على الحيوان أكثر من عطفهم على الإنسان ، وما تتعرض له حياة الإنسان اليوم هنا وهناك، لأبلغ دليل على ذلك.

وقبل الذهاب إلى غرفتي علمت أن العشاء الذي سبق

طهيه قبل الحادث الأليم موضوع على المائدة ، وهناك وجدتني وحيداً لا يشاركني فيه أحد منهم ، ومع أنني كنت خجلاً من موقفي هذا، إلا أنني كدت أن آتي على الطعام كله، فقد كانت المرة الأولى التي أنام فيها، ومعدتي مليئة من طعامهم منذ أن سكنت عندهم، وبالتأكيد فإنها ستكون الأخيرة ، فليس لديهم سوى هذا الكلب الذي مات.



عندما مزقت الشيك

لـم أكن قد تزوجت بعد، كان ذلك عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م عندما نصحني أحد الأصدقاء السوريين بالزواج من سوريا لتواضع تكاليف الزواج هناك وتميز المرأة السورية كما قال بخصائص جعلت منها ربة بيت ماهرة، ولأن مثل ذلك كان ميسراً أنذاك فقد وجدت هذه النصيحة هوى في نفسي وتوافقاً مع رغبتي في الزواج زاد في قبولها والتحمس لها إستعداد صديقي هذا وتأكيده لي بأنه سيكون بجانبي ويسهل الأمر لي، لذلك لم تمضِ عشرة أيام إلا وكنت قد حصلت على إجازة لمدة شهر وحملت معي شيكاً مصدقاً بمبلغ خمسة الآف ليرة سورية مسحوباً على أحد البنوك في دمشق، وهو المبلغ الذي كما قال صديقي كفيل بعودتي من هناك متأبطاً ذراع إحدى الحسناوات.

حلم جميل كان يداعب خيالي، لكنه سيصبح بعد أيام معدودات حقيقة وأمراً واقعاً يالسعادة التي تنتظرني هناك.

هذا بعض ما كان يجول في ذهني من خواطر وأفكار.

وقبل الشروع في السفر صادف أن كان ثلاثة من الزملاء في طريقهم إلى القاهرة لقضاء إجازتهم هناك، وما أن علموا بنيتي تلك حتى عرضوا على فكرة استحسنتها.. وهي أن أصاحبهم إلى القاهرة للتعرف على معالمها ومن هناك أذهب إلى سوريا بحراً عن طريق مينائي الإسكندرية واللاذقية ومنها إلى دمشق الفيحاء حيث ديار العروس المنتظرة، وبهذا أكون قد أصبت عصفورين بحجر واحد، وكما قال أحدهم جمعت بين الحسنيين السياحة المفيدة والزواج السعيد قبل ان أسلم نفسي لإحداهن فتودعني القفص الذهبي حيث لا حرية بعد ذلك ولا حركة، وبتقبلي هذه الفكرة التي تصورت أنها فرصتي الأخيرة إنطلقنا نحن الأربعة صوب القاهرة التي كانت آنذاك قبلة السواح والمصطافين لاينافسها في ذلك سوى لبنان.

لم تنسني القاهرة بجمالها ما أنا مقبل عليه ولو مؤقتاً، فبدأت أتهيأ لمواصلة السفر، ولأن سلاحي لخوض المعركة القادمة هو الشيك فقد أردت التأكد من وجوده قبل التوجه إلى

الإسكندرية، وعندما لم أجده بعد بحث مضنٍ تذكرت أنه كان داخل مظروف مع أوراق أخرى اعتقدت في لحظة ارتباك (مسافر) بعدم فائدتها فمزقتها، وكم كانت الصدمة شديدة عليّ عندما عثرت على أشلاء الشيك ملقاة داخل سلة المهملات. كانت خيبة أمل ممزوجة بالحيرة، أَلْجَمَتْ لساني وشلَّت قدرتي على التفكير المتزن.

وعلى منظري المحزن، وأنا أبحث عن حل لهذا الموقف المؤسف، اسدل الستار على هذا الحلم الجميل الذي تمنيت تحقيقه، لكنها إرادة الله. فعلى الإنسان التفكير وعلى الله التدبير، ولأني كنت في أرض الكنانة، فقد رددت مقولتهم الشهيرة «الزواج قسمة ونصيب».



الفهــرس

الصفحة

